

## الفصل الرابع النار والجنة

### المبحث الأول مقدمات

أولاً: خلود الجنة والنار:

الجنة والنار خالدتان أبداً، والأدلة على ذلك كثيرة وهي تدل على خلود أهل الجنة والنار وهذا يستلزم خلود الجنة والنار ولازم الحق حق.

1 - أما الجنة: فقد دل على خلودها الكتاب والسنة:

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجَدُّونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [مُود: 108].  
يعني غير مقطوع.

- وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الحجر: 48]، فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود.

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ

ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء: 57] .

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ [النساء: 122]<sup>(1)</sup> .

وأما في السنة، فمنها قوله ﷺ: «ينادي مناد يعني أهل الجنة أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبداً، فذلك قوله ﷺ: ﴿وَتُودَعُونَ أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أُرِيتُمُوهَا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]<sup>(2)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»<sup>(3)</sup> .

## 2 - وأما خلود النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يَغْتَرُّ عَنْهُمْ

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 294.

(2) مسلم، ك الجنة وصفتها، رقم: 2837، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 394.

(3) البخاري، ك التفسير، رقم: 4453، مسلم: 2849.

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ [الزخرف: 74، 75].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٧٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ آلِ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 98، 99].

- وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: 81].

وأما السنة فحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»<sup>(1)</sup>.

### 3 - هل المراد بالخلود طول المكث :

قد يقول القائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تسمي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلد الله ملكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد، والرجل الذي أسن ولم يشب تقول عنه العرب: مخلد<sup>(2)</sup>.

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته، قال صاحب لسان العرب: الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج

(1) البخاري، ك الطب، رقم: 5445، مسلم، رقم: 109.

(2) لسان العرب (3 / 163).

منها<sup>(1)</sup>، وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقريته، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم، وهي بالتتابع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: 168، 169].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: 64، 65].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

وزاد هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: 37].

- قال تعالى: ﴿ذٰلِكُمْ بِأَنكُمۡ أٰتٰتُمۡ ؕ اٰتٰتِ اللّٰهُ هُرُوًا وَعَرَفَكُمۡ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية: 35].

(1) لسان العرب (3 / 164).

(2) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة، ص: 400.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُغْنَى عَنْهُمْ عَنْهُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ﴿﴾ [الزخرف: 74-75]

- وقال تعالى: ﴿وَيَنْجِبُهَا اللَّهُ الَّذِي بَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: 11 - 13].

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَمُوتُوا فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: 106, 107]. ففي تفسير هذه الآية أوجه:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك، وأبي سنان، وغيرهم.

الثاني: أن المدة التي استثنها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما يقرر في الأصول<sup>(1)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم، ص: 402.

#### 4 - وهل تفتنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يخفف العذاب عن أهلها؟

أما فناء النار فقد بين سبحانه عدمه بقوله: ﴿كُلَّمَا حَبَّتْ ذُرَّتُهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97]. ومعلوم أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نص تعالى على عدمه بقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: 36] وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74]، وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيطٍ﴾ [إبراهيم: 17].

وقد بين النبي ﷺ في الحديث الصحيح، أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال ﷺ: «يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»<sup>(1)</sup>.

وأما إخراجهم منها: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: 20]، وبقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: 36].

- وقوله: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 30].

- وقوله: ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ﴾ [الزخرف: 75].

- وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65].

- وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 77].

- وقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل: 85].

- وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حق الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر، ولا غرابة في خلود الكفار الأبدي، لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائماً لا يزول والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَمَهُمْ﴾ [الأنفال: 23]، فقوله: ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط فهي تعم، فلو كان فيهم خيراً ما، لعلمه الله.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله: ﴿وَلَا يَرْكَبُكُمْ﴾، وبقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. والعلم عند الله تعالى<sup>(1)</sup>.

ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. وفي النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]. والإعداد التهيئة وقد اتفق أهل السنة على هذا.

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ص: 93-97.

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلها، كحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ؛ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً؛ الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت؛ فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا؛ ورأيت النار فلم أر كالיום منظرأً قط ورأيت أكثر أهلها النساء؛ قالوا: لم يا رسول الله؛ قال: بكفرن؛ قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير؛ ويكفرن الإحسان؛ ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط»<sup>(1)</sup>.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً؛ قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار»<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: مكان الجنة:

فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن أما كونها فوق السماء السابعة فدل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ١٥ [النجم: 14، 15]. وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه: «ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل:

(1) البخاري، رقم: 4901، مسلم، رقم: 907.

(2) مسلم، رقم: 426.

ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيتها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة<sup>(1)</sup>.... فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة<sup>(2)</sup>.

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدل على ذلك من السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك، فقال: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما في السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة<sup>(3)</sup>»، فأعلى درجات الجنة هي الفردوس». كما في الحديث. وفوق عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 162.

(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.

(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2637.

(4) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.

## رابعاً: مكان النار:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [المطففين: 7 - 9]. وفي حديث البراء فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى»، سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: 8]. أي: أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، وقد فسر في الحديث بأنه في الأرض السفلى، وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة، وقيل بئر في جهنم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

والظاهر من الآية أن سجين هو اسم للكتاب لأنه تعالى قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾، ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ قال: ليس تفسيراً لقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وإنما هو تفسير لما كُتِبَ لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(2)</sup> وهكذا قال الراغب والقاسمي<sup>(3)</sup>، وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ تفسير لقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ أي إن كتاب الفجار كتاب مرقوم ويكون قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾. وهذه جملة معترضة بين المفسر

(1) الفتح الرباني شرح المسند، للبنا (7 / 77).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 485).

(3) محاسن التفسير، للقاسمي (7 / 282).

والمفسر وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار.

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة فتكون في موضع قبل مكان الجنة، لأن الصراط منصوب على جسر جهنم<sup>(1)</sup>، ودل حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: أصحاب الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف 46-48]. والأعراف سور بين الجنة والنار<sup>(3)</sup>.

وأما أصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الجنة، برحمته نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جميع من الصحابة والتابعين<sup>(4)</sup>.

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 412.

(2) مسلم، رقم: 2842.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 562.

(4) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 81-87.

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهزلي قال: قال سعيد ابن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ﴾، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿لَا تَجْمَعْنَا مَعَ الْقَوِّمِ الظَّالِمِينَ﴾ تعوذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطي كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهناك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولاً فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلِمًا وَسِيمَةً﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 418.

(2) تفسير ابن كثير (2/ 216)، فتح القدير (1/ 215).

## المبحث الثاني النار

أولاً: أسماء النار:

1 - النار: هي الدار التي أعدها الله.

وأسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالاتي:

2 - سعيراً:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5].

3 - جهنم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: 6].

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [التبٰة: 21].

4 - لظى:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْزَارٌ لِّلسَّوْءِ﴾ [المعارج: 15 - 18]، اللظى: اللهب الخالص، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: 14] لا يصلها إلا الأشفى [الليل: 15 - 14].

التطاء النار: التها بها، وتلظيها: تلهبها، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ نَارًا تَلْظَىٰ ۗ﴾ [الليل: 14] ، أي: تتوهج وتتوقد<sup>(1)</sup>.

5 - سقر:

قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝ لَا بُدَّ لِي وَلَا نَدْرُ ۝ لَوْلَا أَلَّمْتُ لِبَشَرٍ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ [المدثر: 26 - 30].

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ۝﴾ [القمر: 48 - 49]، والسقر: البعد، وسقرته الشمس: لوحته وألمت دماغه بحرّها، ويوم مسمقر: شديد الحر<sup>(2)</sup>.

6 - الهاوية:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۝ نَارُ حَاوِيَةٍ ۝﴾ [القارعة: 9 - 11]. وسميت النار بالهاوية لبعدها، فمن سقط يهوى فيها، ومعنى أمه هاوية: أي مستقره الهاوية<sup>(3)</sup>.

7 - الحطمة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْحَطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ۝ فِي عَمْرٍ مُّتَدَدَتٍ ۝﴾ [الهمزة: 4 - 9].

(1) لسان العرب (15 / 248).

(2) المصدر نفسه (4 / 372).

(3) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 425.

والحطم: الكسر في أي وجه كان، قيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظم ونحوه<sup>(1)</sup>.

وسميت النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها<sup>(2)</sup>.

### 8 - الجحيم:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: 47].

قال رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله ﷻ عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»<sup>(3)</sup>.

الجحيم: المكان الشديد الحر، وجَحَم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي توقدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُمُ بَنِينَ فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ، وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة<sup>(4)</sup>، وسميت النار بالجحيم لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار، كما قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة: 6] ، أي التي أوقد عليها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب

(1) لسان العرب (12 / 137).

(2) اليوم الآخر: د. المطيري، ص: 426.

(3) سنن النسائي، رقم: 2104 ، وأصله في الصحيحين.

(4) لسان العرب (12 / 82) ، بتصرف وتقديم وتأخير.

جهنم، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44]. جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلهم، وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما هي لدركات<sup>(1)</sup> النار، والصحيح أن هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأن الآثار التي ذكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ فبعد أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة باباً، وكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ [6] نص في أن هذا اسم للنار وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [9] وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ [10] نَارُ حَامِيَةٍ [11] [القارة: 9 - 11].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [8] [القمر: 48].

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً، فالنار كلها تلتهب وتستعر وتتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء، لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القعر ليس الباب ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾، وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من

(1) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 255.

يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلى دماغه وهو أهون أهل النار عذاباً، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار<sup>(1)</sup>.

ثانياً: خزنة النار:

### 1 - عدد خزنة النار:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا بُقِي وَلَا نَذْرٌ ﴿١٨﴾ لَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ سِتَّةَ عَشْرَ ﴿٢٠﴾﴾ [المدثر: 27-30]. فعددهم تسعة عشر ملكاً، ولكن القرطبي قال: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام؛ مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

### 2 - أسماء خزنة النار:

أما كبير خزنة النار فهو مالك عليه السلام، وجاء ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّقَضِ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مُنكَثُونَ﴾ [الزخرف: 77].

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ﴾ [الزخرف: 76-77]، وهو خازن النار، أخرج البخاري عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 429.

(2) تفسير القرطبي (19 / 53).

رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ وَتَادُوا بِمَنَّاكَ لِقَاضِ عَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ ، وقال ﷺ: ﴿ وَرَبَّنَا إِنَّا أَلْشَقَىٰ ۙ ۝۱۱ ۙ الَّذِي يَصَلُّ أَتَارَ الْكُرَىٰ ۝۱۲ ۙ ثُمَّ لَا يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَجِيءُ ﴾ ، فلما سألوها أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَنَكُوتٌ ﴾ .

قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ما كوثون أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها<sup>(1)</sup>.

وقد وصف الله ﷻ خزنة النار بأنهم ﴿ الْأَزْبَانِيَّةُ ﴾ وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعصاة في النار، كما قال سبحانه: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۗ ۝۱۷ ۙ سَدَّعُ الْأَزْبَانِيَّةُ ﴾ [العلق: 17-18].

وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قال فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجنهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله ﷻ ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝۶ ۙ إِنَّ رَبَّهُ اسْتَمَعَ ۝۷ ۙ إِنَّ رَبَّهُ لَسَمِيعٌ ۝۸ ۙ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝۹ ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝۱۰ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ ۝۱۱ ۙ أَعْمَىٰ ۝۱۲ ۙ أَوْ أَمْرًا بِالْفَقْرِ ۝۱۳ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝۱۴ ۙ ﴾ يعني: أبا جهل

(1) تفسير ابن كثير (4 / 135).

﴿أَلَمْ يَكُنْ أَنْ آتَى اللَّهَ بِرَأْيِ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَالِقَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَيَدْعُنَّ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعَ الرَّبَابِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطَّعُہُ ﴿١٩﴾﴾ (١)

### 3 - صفاتهم:

وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات وهما: الغلظة والشدة فهي فيهم (2)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التخريم: 6] .

وقد ذكر الله تعالى بعض المواقف التي تبين شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: 71-72] .

الموطن الثاني: عند دخولهم النار، قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَلْتَمَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2797.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 435.

نَزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١١﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك: 8-11].

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿١١﴾ ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٢﴾ [غافر: 49، 50].

ثالثاً: صفة النار:

1 - أبواب النار:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الحجر: 43، 44]. وعندما يرد الكفار النار تفتح الأبواب ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71]. وبعد هذا الإقرار يقال لهم: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَمَ لَمَّ الْفِتْنَىٰ سَاءَ الْمَثَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الزمر: 72]. وهذه الأبواب تغلق على المجرمين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الحجر: 44]. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا

فِيحَتَّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُنَّ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ مَسْكَنَاتٍ أَلْمَسْتُمُوهُنَّ ﴿٧٢﴾ [الزمر: 71-72] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٧٣﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿[البلد: 19-20]﴾<sup>(1)</sup>.

ومؤصدة: مغلقة الأبواب<sup>(2)</sup>، فأبواب النار مؤصدة مغلقة، وأسوارها ذات عمد ممدودة طويلة لا يمكن تخطيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: 8، 9]<sup>(3)</sup>.

## 2 - دركات النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفَرِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:

[145].

والدرك: هو أقصى قعر الشيء<sup>(4)</sup>، وقال الراغب: الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدود، ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار<sup>(5)</sup>، وقد يطلق على منازل النار درجات، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: 163].

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، عمر الأشقر، ص: 28.

(2) المصدر نفسه، ص: 28.

(3) اليوم الآخر، د. محسن المطيري، ص: 438.

(4) لسان العرب (10 / 422).

(5) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 311.

وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: 132]. وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ رِضْوَانَهُ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٦٣﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَاتِهِم بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: 162، 163].

وتفاوتت درجات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم وقد بينا أن الله ﷻ ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب وليست هذه الدرقة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاث أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب<sup>(1)</sup>:

الأول: فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿١٦٤﴾ [غافر: 46].

الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلْنَا هَٰؤُلَاءَ نَفْسُكُمُ أَنْفُسِكُمْ وَخَرَجُونَا قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدُوتِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوَيْتُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقْلَمُونَ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ [البقرة: 85].

الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائة، قال تعالى: ﴿إِذْ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، والسنة المطهرة، ص: 442.

قَالَ الْخَوَارِثِيُّونَ يَبْعِسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً  
مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنَأُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ  
مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾  
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا  
لِأَوْلَادِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَآرَاقِنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا  
عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ  
الْعَالَمِينَ ﴿[المائدة: 112-115].﴾

وأما أهون أهل النار عذاباً فهو رجل يتنعل بنعلين يغلي منهما  
دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى  
أهل النار عذاباً يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»<sup>(1)</sup>.

### 3 - وقود النار:

وقود النار، البشر والحجر، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ  
تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾  
[البقرة: 24].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا  
أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: 10].

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ  
جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 98].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَوُجُوهًا

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 211.

النَّاسِ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التخريم: 6].

#### 4 - شدة حرّها وعظم دخانها وشرارها:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَجَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: 41 . 44].

وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا في الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم السوموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حرّه، وظلها اليعموم، وهو قطع دخانها<sup>(1)</sup>. والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريحه إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم، وقد حدثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: ﴿أَنْظِلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ ﴿٢٥﴾ لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يَقْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴿٢٦﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْفَصْرِ ﴿٢٧﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 31-33]، فالآية تقر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لفخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل، أما سوار هذه النار المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر إي الإبل السود.

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 33.

وقال الحق مبيناً قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝ لَا يَقِي وَلَا نَدْرُ ۝﴾ [المدثر: 27-30]. إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطن، وتطلع على الأفئدة.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ: أن نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟ قال: «فضلت عليها بتسعين جزءاً كلهن مثل حرها»<sup>(1)</sup> وعندما تستقبل النار أهلها يوم القيامة تسعر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝﴾ [التكوير: 12-13]. ومعنى سعرت: أوقدت، وأحميت<sup>(2)</sup>.

## 5 - النار تتكلم وتبصر وتغضب:

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقاً يتكلم ويبصر ويغضب، أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝﴾ [ق: 30].

وأما رؤيتها للناس، فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۝ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝﴾ [الفرقان: 11، 12]. فقوله: ﴿رَأَتْهُمْ﴾ يدل على أنها تبصر، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يدل على أنها تتكلم، وقوله: ﴿تَغِيظُهَا وَزَفِيرًا﴾ يدل على أنها تغضب.

(1) البخاري، رقم: 3092، مسلم، رقم: 2843.

(2) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 43.

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَا أُلْتُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهي تَقُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلِيَتْ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: 7، 8].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 12] ، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين بل تكاد تتميز أي تتقطع<sup>(1)</sup> من شدة غضبها عليهم.

## 6 - وديان النار:

سمى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية وهي كالتالي:

أ. وادي الويل: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٍ ﴿١﴾ أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ﴿٢﴾﴾ [الهمزة: 1-3].

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً»<sup>(2)</sup>.

ب. وادي الغي: قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾﴾ [مریم: 59].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 446.

(2) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 36، صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله: ﴿بَغْيًا﴾: هو واد في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات<sup>(1)</sup>.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: الغي وادي في جهنم بعيد القعر متن الريح<sup>(2)</sup>، وهذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع<sup>(3)</sup>.

ج. وادي الموبق: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: 52]. قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ واد من قبيح ودم<sup>(4)</sup>.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: واد في النار عميق فرق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة<sup>(5)</sup>، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ قال ابن عباس: مهلكاً<sup>(6)</sup>.

والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره، والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه فرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير<sup>(7)</sup>.

(1) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، ص: 460.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.

(4) البيهقي في البعث والنشور، ص: 261.

(5) المصدر نفسه، ص: 261.

(6) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.

(7) المصدر نفسه، ص: 451.

## 7 - جبال النار:

قال تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ صَعُودًا﴾ (٧) [المذثر: 17]. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: جبل في جهنم<sup>(1)</sup>.

## 8 - سرادق النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْهُمُ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]: السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء<sup>(2)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «السرادق النار أربع جدر كنف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»<sup>(3)</sup>، وهذا السور له أعمدة ممددة طويلة كما قال تعالى: ﴿إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) في عمده مُّمدَّدة ﴿٩﴾ [الهمزة: 8، 9].

## 9 - سعة النار وبعدها وعظم عمقها:

ويدل على ذلك أمور كثيرة منها:

أ - أن من أسماء النار الهاوية: أي يهوى بها لبعدها وعرضها، وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 268.

(2) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (2 / 359).

(3) سنن الترمذي، رقم: 2584، صححه الحاكم كما في تحفة الأحوزي (7 / 258).

(4) مسلم، رقم: 2844.

ب - أن الكافر يكبر حجمه في النار: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»<sup>(1)</sup>، والذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ومع العدد الهائل من الناس وبهذا الحجم الكبير للكفار فإنه لا تمتليء بل وتطلب المزيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿ق: 30﴾ .

ج - ويدل على عظمها أيضاً كثرة الذين يجرونها من الملائكة: فقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] . بأن الذين يجيئون بها ملائكة، قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

### 10 - وصف عذاب النار:

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى قد وصف عذاب الحياة الآخرة، بأوصاف كثيرة متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته، فمن هذه الأوصاف:

- أنه أشق وأشد: قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿الرعد: 34﴾ .

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِتَابِئِ رَبِّهٖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 127] .

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2851.

(2) مسلم، رقم: 2842.

- غرام: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿١٥﴾ [الفرقان: 65].

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا، أي: ملازم له ومولع به، هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي<sup>(1)</sup>

- العذاب المهين: قال تعالى: ﴿بِسْمَا أَشْرَفُوا يَوْمَ أَنفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصْبِ عَلَى عَصْبٍ وَاللَّكِنِيرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ [البقرة: 90].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّكِنِيرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين<sup>(2)</sup>

- العذاب الأخزى: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه عذاب أخزى، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ

(1) ديوان الأعشى الكبير (1 / 45) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي (274 / 1).

(2) تفسير ابن كثير (1 / 112).

عَذَابَ الْمَغْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ ﴿١٦﴾  
[فُضِّلَتْ: 16].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192].

- العذاب العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يُصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 176].

- العذاب السييء: ومن الأوصاف لعذاب الحياة الآخرة أنه العذاب السييء، الشديد النكايه.

- قال تعالى: ﴿أَفَنَنْتَنَّىٰ بِوَجْهِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ﴾ [الزمر: 47].

- العذاب الأكبر: قال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْدَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 25] فَادَّاقَهُمُ اللَّهُ الْمَغْزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ [الزمر: 25، 26].

- وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 33].

- وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿١٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية: 24-21]<sup>(1)</sup>.

## 11 - كيفية دخول أهل النار إلى جهنم:

فصل الله تعالى كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، وبين ذلك في كثير من الآيات، فقد أمر الله تعالى الملائكة أن تقيد وتغل الكافر، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: 30]: الغل: هو ما يقيد به<sup>(2)</sup>، وهذا القيد يكون في عنقه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَّبٌ قَوْلُهُمْ إِيذًا كَمَا تَرْتَابًا أَوْنَا لِنِي خَلْقِي جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الزعد: 5].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: 33]. وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل الحديد، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأغزل في أعناقهم وألسنهم يسحبون ﴿٧٦﴾ في الحميم نمر في النار يسجرون ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: 70-72].

ثم تجمع الملائكة نواصبهم مع أقدامهم ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: 41]. عن ابن عباس قال: يُجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب<sup>(3)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (1 / 272. 281)

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 457.

(3) البعث والنشور للبيهقي، ص: 286.

ثم يساقون إلى النار سوقاً شديداً ويدفعون إليها دفعا ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾ [الطور: 13، 14]. الدع: الدفع الشديد ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم عذاب الفرع، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرّاً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71]. ثم يلقون فيها إلقاء من مكان ضيق، وهم مكتفون، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ نُبُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الفرقان: 13]، مقرنين أي مشدودين ومربوطين<sup>(1)</sup>.

وهذا الربط بالاصفاد هي الاغلال ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿١٤﴾ [إبراهيم: 49]. وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ جَاءَ بِالسَّيْفِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [النمل: 90]<sup>(2)</sup>. ثم يلقي بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿فَكَبِكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوَنُ﴾ ﴿١٦﴾ وَحُنُودٌ أَيْلِسَ أَجْمَعُونَ ﴿١٧﴾ [الشعراء: 94، 95]. كبكبوا: ألقي بعضهم على بعض<sup>(3)</sup>.

ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة طويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام<sup>(4)</sup>.

- (1) مفردات القرآن للأصفهاني، ص: 667.
- (2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 457.
- (3) لسان العرب، لابن منظور (1 / 697).
- (4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 458.

## 12 - أول من تسعر بهم النار يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نِعْمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نِعْمَهُ فعرفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرفه نِعْمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: ما أعد الله لأهل النار من عذاب:

## 1 - شدة العذاب:

ومن شدة عذابها أن نفخة واحدة منها تكفي بأن يقرؤا بكل شيء.

- قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

(1) مسلم، ك الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة (2 / 1513).

يَتَوَلَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنبياء: 46].

- وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي الْخُطْمَةِ ﴿٤٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٤٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ ﴿٤٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٤٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٤٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٤٩﴾﴾ [الهمزة: 4. 9].

- وقد اشتملت هذه السورة . مع قصرها . على سبع أمور تدل على عظيم عذاب نار جهنم ، وشدته ، وهي كالتالي :

أ - قوله: ﴿لَيُبَدِّلَنَّ﴾ ، والنبذ يستخدم للتحقير والمهانة ، والذل ، ويقال: فلان منبوذ ، أي مهان محتقر لا نصير له ولا معز ، فهم إضافة لعذابهم البدني بالنار ، فإنهم يعذبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير.

ب - قوله: ﴿الْخُطْمَةِ﴾ : تسمية النار بالحطمة تعظيم لعذابها ، لأنها تحطم عظام ورؤوس من دخلها.

ج - قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ﴾ هذا الأسلوب أسلوب تعظيم كقوله تعالى ﴿الْمَآئَةِ ﴿١﴾ مَا الْمَآئَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَآئَةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة: 1-3] ، وقوله: ﴿الْفَارِعَةِ ﴿١﴾ مَا الْفَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة: 1 - 3].

د - قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ﴾ ، أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه ، وهذه إضافة تعظيم ، كقوله تعالى: ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ و﴿نَافَةُ اللَّهِ﴾.

هـ - وقوله تعالى: ﴿الْمَوْجُودَةُ﴾ : على وزن مفعلة ، وهذه

الصيغة من صيغ اسم المفعول<sup>(1)</sup>. ومن المعلوم أن هذه الصيغة تدل على الوقوع عليه الفعل، فهي إذن نار ويوقد عليها، والإيقاد إنما يكون بالنار، وهذا من الغرائب كيف يوقد على النار، وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكن نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها حتى لا تخبو وتضعف، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

و- ﴿أَلَيْ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبخار والجلود فقط، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها إلى القلب والفؤاد.

ز- ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ﴿٩﴾: من شدة عذابها أنها محكمة الغلق موصدة الأبواب ممددة الأعمدة والأسوار، لا منجا منها ولا مهرب ولا مفر<sup>(2)</sup>.

## 2 - إحاطة النار بأهلها:

قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ﴾ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيَسَّرَ لِمَهَادٍ ﴿ [ص: 55-56]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [الأعراف: 41].

المهاد: المكان الممهّد، الموطأ<sup>(3)</sup>، وهو الفراش، وهذا يكون

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 495.

(2) المصدر نفسه، ص: 495.

(3) المفردات للراغب، ص: 78.

من تحتهم، ومهادهم من جهنم. وغواش: جمع غاشية، أي: نيران تغشاهم<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعِظُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: 54، 55].

- وقال تعالى: ﴿لَمْ يَنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادُ فَاتَّقُونِ ﴿١١١﴾﴾ [الزمر: 16].

الظلل: جمع ظلة، والظلة سحابة تظل، كغرف وغرفة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: 171]. وقوله: ﴿عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: 189]. وهذه الظلل من نار<sup>(2)</sup>.

### 3 - قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسل وقيوداً ومطارق وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، قال تعالى: ﴿فَيُؤَيِّدُ لَا يُعْذِبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿١٥﴾ وَلَا يُؤْنِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: 25، 26].

(1) تفسير القرطبي (7 / 133).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 496.

والأغلال جمع غل وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا السَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 33].

والأصفاد: جمع صفد وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49]. والسلاسل . معروفة . هي القيود من حديد.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرَّفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [٦٦] إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ [٦٧] فِي الْعِيسِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [٦٨] ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ [٦٩] مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا بَل لَّئِنْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: 69-74].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [١] (الإنسان: 4). وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِنَجِيمَ صَلْوُهُ [٢] ثُمَّ فِي سَلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ [٣]﴾ [الحاقة: 31، 32]. وطول السلسلة لا يستغرب ولا يشكل لأن الكافر يكبر حجمه في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد<sup>(2)</sup>، والمقامع هي المطارق، ومقامع أهل النار من مادة الحديد حتى يكون وقعها أشد، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَقْلَعُ مِنْ حديدٍ [٤] كُلَّمَا

(1) المفردات للراغب، ص: 610 بتصرف.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 497.

أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾  
 [الحج: 21، 22]. أي كلما أراد أحدهم الخروج من النار ضرب بالمقمع فيهبى مرة أخرى في النار.

#### 4 - قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿ أَحْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَحَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٤﴾ [الصفات، : 22، 23].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَكْتُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُّوكَ ﴿٢٥﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ [الأنبياء: 98، 99].

لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكايه لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرتة<sup>(1)</sup>، ومن أجل ذلك يقذف يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا مما توقد به النار، تبيكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله ففي الحديث: الشمس والقمر مكوران في النار<sup>(2)</sup>.

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم.

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم والسنة المطهرة، ص: 499.

(2) تفسير ابن كثير (3 / 213).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ مَا سَخَّرْنَا لَهُ لَمْ يَرْحَمْنَا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿الزخرف: 36-39﴾.

### 5 - سجون أهل النار:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: 7، 8].

سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: 8] أي أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»<sup>(2)</sup>.

### 6 - طعام أهل النار:

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنواعاً من طعامهم، وهي كالتالي:

(1) الفتح الرباني (7 / 77).

(2) سنن الترمذي، ص: 2493 حسن، صحيح.

أ. فهم يأكلون النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْكُرُونَ بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا أَؤْتِيكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174). أي إنما يأكلون ما يأكلونه. في مقابلة كتمان الحق. ناراً تاجج في بطونهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنِي ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: 10).

وقال رسول الله ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»<sup>(1)</sup>.

ب. الزقوم: من أشجار النار الزقوم، وهي شجرة لا نفع فيها، فهي لا ظل لها ينعمون به، ومنظرها بشع فطلعها كأنه رؤوس الشياطين وما الظن بشجرة تنبت في أصل الجحيم، وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها فيأكلون من ثمرها ظناً منهم أنه ينفعهم فما يزيدهم إلا عذاباً، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفئ الغليان الذي في بطونهم فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعاً فيقطع أمعاهم ويتضاعف العذاب عليهم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ ﴿٤٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٤﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ خُدُّوهُ فَاغْلَوْهُ وَإِنَّ سَوَاءَ

(1) البخاري، رقم: 5311.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 447.

الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ [الدخان: 43-49].

المهمل: قيل هو عكر الزيت<sup>(1)</sup>، وقيل النحاس المذاب<sup>(2)</sup>، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا مِنْ أَلِيمٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا تَزْلُمُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿[الواقعة: 51-56]﴾. فقوله: ﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [الواقعة: 54] أي: على الزقوم ليظفأ غليانه، و«الهميم» هي الإبل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال هائم وهائمة، والهميم: داء يأخذ الإبل فلا ترى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ تَزُلَا أَمْ سَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَالَتْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿[الصفوات: 62-68]﴾. فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف، قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آخَرَ

(1) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص: 781.

(2) تفسير القرطبي (16 / 100).

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 447.

﴿٤٤﴾ [الرحمن: 43، 44]. والحميم الآن: هو الماء الذي بلغ أقصى حرارته<sup>(1)</sup>.

ج - الغسلين: قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ آيَمٌ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلَيْنِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: 35-37].

الغسلين: غُسلَة أبدان الكفار في النار<sup>(2)</sup>، وهو الدم والماء الذي يسيل من لحومهم<sup>(3)</sup>.

د - الضريع: قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦١﴾ لَا يُسَوِّنُ وَلَا يُعْفَى مِنْ جُوعٍ ﴿٦٢﴾﴾ [الغاشية: 6، 7].

الضريع: نبات في الحجاز له شوك كبار، يقال له: الشرق، فإذا يبس قيل له: الضريع.

هـ - طعام ذو غصة: قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١١﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: 12، 13].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلقت لا يدخل ولا يخرج<sup>(4)</sup>.

## 7 - شرايهم:

أ - الحميم: وهو الماء المغلي شديد الحرارة<sup>(5)</sup>. قال

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 448.

(2) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 502.

(3) البدور السافرة للسيوطي، ص: 493.

(4) صفة النار، لابن أبي الدنيا، ص: 64.

(5) المفردات للراغب، ص: 254، لسان العرب (12 / 153).

تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70]. وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَاوَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: 43، 44]. أي: بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَشَقَّىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَاوَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [الغاشية: 5].

قال تعالى: ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٧﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: 42، 44]. قوله ﴿سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: هواء حار، وماء حار، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٧٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٧٥﴾﴾ [النبأ: 24، 25].

وهذا الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم كما قال سبحانه: ﴿كَنَّ هُوَ حَدِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وإذا لم يشربوه صب فوق رؤوسهم فتنصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ حَصَمَانَ آخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٦﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: 19، 20].

وقال ﷺ: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه»<sup>(1)</sup>.

ب - ماء الصديد: قال تعالى: ﴿مِن رَّوَابِهِمْ جَهَنَّمُ وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: 19، 20].

(1) سنن الترمذي، رقم: 2582، حسن، صحيح غريب.

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَمِيَّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿ [إبراهيم: 16-17].

الصدید: هو القيح والدم<sup>(1)</sup>. ولا يزال هذا الصدید یكثر خروجه من أهل النار حتى یصبح نهراً یسمى نهر الخبال.

وعن عبد الله بن عمر رضی اللہ عنہما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم یقبل الله له صلاة أربعین صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم یقبل الله له صلاة أربعین صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم یقبل الله له صلاة أربعین صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم یقبل الله له صلاة أربعین صباحاً، فإن تاب لم یتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»، قیل: یا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صدید أهل النار<sup>(2)</sup>.

ج - ماء كالمهل: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَيْشُوا بَعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]. المهل: دردی الزيت، وهو ما یبقى فی أسفله<sup>(3)</sup>، فهو ماء ثقیل، یختلف عن الحمیم.

د - الغساق: قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿ [النبا: 24، 25].

وقال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿ [ص: 57، 58].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 504.

(2) سنن الترمذي، الأشربة، رقم: 1862، صححه الألباني في صحيح الترمذي (2/169).

(3) لسان العرب (3/166).

أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾، أي: وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها<sup>(1)</sup>.

وعن مجاهد قال: الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده<sup>(2)</sup>. وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [١٤] إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا [١٥] ﴿ [النبأ: 24، 25]. قال: استثنى من الشراب: الحميم، ومن البارد: الغساق<sup>(3)</sup>.

### 8 - لباس أهل النار:

بعد أن يحشر الناس حفاة عراة يلبسون لباساً وهذا اللباس ليس لستر العورة، ولا للزينة لأنه لباس مقطوع ممزق، بل لباس لزيادة العذاب فهو لباس من نار، قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [١٦] يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ [١٧] ﴿ [الحج: 19، 20].

قوله: قُطِعَتْ يعني ليست مفصلة على جسمهم، بل هي مقطعة ممزقة وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول سبحان من قطع من النيران ثياباً<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِانٍ وَنَقَعْنِي وَجُوهَهُمْ لَتَّارٌ﴾ [إبراهيم: 50].

(1) تفسير ابن كثير (4 / 41).

(2) البدور السافرة، للسيوطي، ص: 441.

(3) المصدر نفسه، ص: 441.

(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

السرابيل: جمع سربال، والسربال هو القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال<sup>(1)</sup>.

والقطران: النحاس المذاب<sup>(2)</sup>، فلباسهم من نحاس مذاب، والنحاس لا يكون مذاباً حتى يحمي عليه ويكون في الغاية من الحرارة والغليان.

وعن أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونها الفخر في الحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»<sup>(3)</sup>.

#### 9 - صور من عذابهم:

أ - إنضاج الجلود: إن نيران الجبار تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبذل لهم جلوداً أخرى غير تلك التي احترقت لتحترق من جديد<sup>(4)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ

(1) لسان العرب (11 / 335).

(2) البعث والنشور لليهقي، ص: 284.

(3) مسلم، ك الجنائز، رقم: 934.

(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَيْفِسُوا يَأْتُوا بِمَاءٍ  
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٩﴾ [الكهف: 29].

ب - الصهر: من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم  
والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أعضائهم  
وما حوته بطونهم، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ ثِيَابٌ مِنْ  
نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ  
﴿٢٠﴾﴾ [الحج: 19، 20].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ  
الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق  
من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»<sup>(1)</sup>.

ج - اللفح: أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا  
الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ومن إهانة الله لإهل النار أنهم يحشرون  
في يوم القيامة على وجوههم عمياً وصماً وبكماً، قال  
تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

ويلقون في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّتَةِ  
فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:  
90].

ثم أن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً لا يجدون حائلاً

(1) سنن الترمذي، رقم: 2582، حسن، صحيح غريب.

يحول بينهم وبينها، قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارِ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٠٣] تَلْفَحُ وُجُوهُهمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [المؤمنون: 103، 104].

في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهمُ النَّارُ﴾ يجرفها، واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه، وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أزرع عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السر في تقديمها على الفاعل<sup>(1)</sup>، ثم إن وجوههم تعلوها وتحيط بها وتسعر أجسامهم المسربلة بالقطران<sup>(2)</sup> قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِبِينَ يَوْمِئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَى وُجُوهُهمُ النَّارُ ﴿٤٩﴾ [إبراهيم: 49-50].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهمُ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أُطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [١١٦] [الأحزاب: 66].

إنه مشهد بائس أليم حين تغشاهم النار من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير أبي السعود (6 / 151).

(2) القطران: النحاس المذاب، غريب القرآن، ص: 407.

(3) في ظلال القرآن (5 / 2883).

د - السحب: ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: 47، 48].

ويزيد في آلامهم إهانتهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ فِي عَاقِبَتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: 69، 72] قال قتادة: يسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة<sup>(1)</sup>.

هـ - تسويد الوجوه: ومن ألوان عذاب الحياة الآخرة تسويد الوجوه، وذلك لما ترى من سوء العاقبة وما يحل بها من النكال والوبال، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6]. كأنما ألبست وجوههم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً لا بصيص فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب، فتشقها قطعة بعد قطعة، فصارت ظلمات متراكمة فوق بعض<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: 27]. ونحو الآية قوله

(1) الحياة في القرآن الكريم (1 / 286).

(2) تفسير المراغني (4 / 96).

تعالى: ﴿وَوَجَّهْهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَلْقَىٰ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: 24، 25].

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار، ويبدو عليها ماض (1)، وإرهاق، فإنها ليست كالحجة فحسب، ولكن يخالجهما التوجس (2)، أن تنزل بها داهية تقصم (3) الفقار (4)، والتوجس شر من وقوع العذاب (5).

و - اندلاق الأمعاء في النار: في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمر بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأناكم عن المنكر وآتية (6). ثم يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه».

ز - حيات جهنم: في النار حيات يعذبن أهلها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: 180].

- (1) الماض: وجع المصيبة، لسان العرب (7 / 233).
- (2) التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي.
- (3) القصم: كسر الشيء.
- (4) الفقار: الظهر.
- (5) الحياة في القرآن الكريم (1 / 287).
- (6) متفق عليه مشكاة المصابيح (2 / 642)، رقم: 2139.

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم، كما فسرها بذلك النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعاً»، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقال مرة: قرأ رسول الله ﷺ مصداقه: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُومِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ «من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان»، ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾ (1).

وقال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً» (2) أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ (3).

وقال رسول الله ﷺ: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة» (4).

(1) سنن الترمذي، رقم: 3012، حسن، صحيح.

(2) الشجاع: الحية الذكر والأقرع الذي تفرع رأسه.

(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1338.

(4) الإحسان، لابن حبان، رقم: 7417، صححه ابن حبان.

ح - كثرة أهلها: النار أهلها كثيرون وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] .

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13] .

- وقال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [٨٤] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ بَعَثَ مِنْهُمُ أَجْمَعِينَ ﴿ [ص: 84-85] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ﴿وَوَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»<sup>(1)</sup> .

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء، رقم: 3170.

رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة:

مطالب أهل النار في الآخرة هي:

### 1 - طلب الفداء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: 36، 37].

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض: هو أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً، ولكن السياق يفترض لهم، ما فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ثم عجزهم عن بلوغ الهدف وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم، إنه مشهد مجسم ذو مناظر وحركات متواليات، منظرهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرهم وهم يعرضونه ليفتدوا به ومنظرهم وهم مخيبوا الطلب غير مقبولي الرجاء، ومنظرهم وهم يدخلون النار، ومنظرهم وهم يحاولون الخروج منها، ومنظرهم وهم يرغمون على البقاء، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك<sup>(1)</sup>.

(1) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت، ص: 18 في ظلال القرآن سيد قطب (2 / 882).

- قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعْمُرٍ لَفَتَدَوَّا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلهَادِ ﴿١٨﴾ [الرعد: 18] . أي: من مات فلن يقبل منه خيراً أبداً ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٦﴾ [آل عمران: 10] .

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ولكنهما لا يغنيان شيئاً في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه لأنه لا خلاف لميعاد الله وهم فيه ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته ويصورهم في صورة الحطب والخشب وساء... ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ لا بل إن الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعْمُرٍ لَفَتَدَوَّا بِهِ ۗ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ۗ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ [الزمر: 47، 48].

(1) تفسير ابن كثير (1 / 280).

(2) في ظلال القرآن (1 / 373)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب بخيت،

إنه الهول المملوف في ثنايا التعبير الرهيب، فلو أن لهؤلاء الظالمين، لو أن لهؤلاء ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما يحرصون عليه ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُ﴾ لقدموه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة. وهول آخر يتضمنه التعبير المملوف ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَّا اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ولا يفصح عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه. لا يفصح عنه ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون هكذا بلا تعريف ولا تحديد ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وهذه كذلك تزيد الموقف سوءاً، حين يتكشف لهم قبح ما فعلوه، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والندير وهم في ذلك الموقف الأليم<sup>(1)</sup>.

## 2 - طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُونَ عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْلِنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 27-28].

وفي قوله: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، إن الله يعلم طبيعتهم ويعلم إصرارهم على باطلهم ويعلم أن رجفة الموقف الرهيب الرعيب على النار هي التي انطلقت ألسنتهم بهذه الأمانى وهذه الوعود ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾.

(1) في ظلال القرآن (5 / 3056).

وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٥٢﴾ ويدعهم السياق في هذا المشهد البائس وهذا الرد يصفع وجوههم بالمهانة والتكذيب<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُمْ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَعَلَّ لَنَا مِنْ شَفَعَاتِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ [الأعراف: 53].

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾: أي: يوم القيامة، وما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99، 100]، إنه مشهد الاحتقار وإعلان التوبة عند مواجهة الموت وطلب الرجعة إلى الحياة لتدارك ما فات والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال وكأنما المشهد معروض اللحظة لأنظار مشهود كالعيان، فإذا الرد على هذا الرجاء المتأخر لا يوجه إلى صاحب الرجاء إنما يعلن على رؤوس الأشهاد ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ كلمة لا معنى لها ولا مدلول وراءها ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها، إنها كلمة الموقف الرهيب لا كلمة الإخلاص المنيب، كلمة تقال في لحظة الضيق ليس لها في القلب رصيد وبها ينتهي مشهد الاحتضار، وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً، فلقد قضى الأمر وانقطعت الصلات وأغلقت

(1) في ظلال القرآن (2 / 1067. 1068).

(2) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 35.

الأبواب وأسدلت الأستار ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة إنما في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١١٧) قَالَ أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١١٨) إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٩) فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١٢٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿[المؤمنون: 106-111].

وأحسن ما قيل في معنى ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106] غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا فسمى الأهواء واللذات شقوة لأنهما يوديان إليهما ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ أي: كنا فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذار منهم إنما هو إقرار، ويدل على ذلك قولهم: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١١٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿ طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت فَإِنَّا ظَالِمُونَ لأنفسنا بالعودة إليه؛ فيجابون بعد ألف سنة ﴿أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، أي: أبعثوا في جهنم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

(1) مطالب الظالمين، ص: 38، في ظلال القرآن (4 / 2480 . 2481).

(2) تفسير القرطبي (6 / 102 . 103)، مطالب الظالمين، ص: 40.

رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَيْكَ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّيِعُ أَرْسُلَهُ أَوْلَمْ تَكُونُوا  
 أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿١٩﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ  
 ﴿١٩﴾ [إبراهيم: 44، 45].

أندرهم يوم يأتيهم ذلك العذاب المرسوم آنفاً فيتوجه الذين  
 ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ الآن وقد كانوا يكفرون  
 به من قبل ويجعلون له أنداداً ﴿آخِرْنَا إِلَيْكَ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبُّ دَعْوَتَكَ  
 وَنَتَّيِعُ أَرْسُلَهُ﴾ وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب كأنهم  
 مائلون شاخصون يطلبون وكأننا في الآخرة قد أنطوت الدنيا وما كان  
 فيها، فما هو ذا الخطاب يوجه إليهم من الملائكة الأعلى بالتبكيك  
 والتأنيب والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة. ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا  
 أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ فكيف ترون الآن؟ زلتم يا  
 ترى أم تزولوا؟ ولقد قلت قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصة  
 أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصيرهم المحتوم ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي  
 مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ  
 وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ فكان عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم  
 خالية منهم وأنتم فيها خلفاء، ثم تقسمون مع ذلك ﴿مَا لَكُمْ مِنْ  
 زَوَالٍ﴾، وعند هذا التبكيك ينتهي المشهد، وندرك أين صاروا وماذا  
 كان بعد الدعاء وخيبة الأمل وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع  
 كل حين فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين سكنوا من  
 قبلهم وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم. ثم هم يطغون بعد ذلك  
 ويتجبرون ويسيروا حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين، فلا تهز  
 وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها والتي تتحدث عن تاريخ

الهالكين وتصور مصائرهم للناظرين، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ويلحقون بهم، وتخلوا منهم الديار بعد حين<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 36، 37].

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ يتصارخون يفتعلون الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة ويجارون إلى الله ﷻ بأصواتهم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا قَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّادِحِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 55، 59] في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا قَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 56] أي: يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله<sup>(3)</sup>.

(1) ظلال القرآن (4 / 2112)

(2) مطالب الظالمين، ص: 45-46.

(3) المصدر نفسه، ص: 47.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَّزٍ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقْتَرٍ ﴿٤٥﴾ [الشورى: 44، 45].

الظالمون كانوا طغاة بغاة فناسب أن يكون الذل مظهرهم البارز في يوم الجزاء.

إنهم يرون العذاب فيتهاوى كبرياؤهم ويتساءلون في انكسار ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَّزٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ في هذه الصيغة الموجبة باليأس مع اللهفة والانهيار مع التطلع إلى بارقة للخلاص وهم يعرضون على النار ﴿خَشِيعِينَ﴾ لا من التقوى ولا من الحياء ولكن من الذل والهوان، وهم يعرضون منكسي الأبصار لا يرفعون أعينهم من الذل والعار ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ﴾ وهي صورة شاخصة ذليلة، وفي ظل هذا المشهد يوجه الخطاب إلى المعاندين المكابرين ليستجيبوا لربهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم ولا نصير ينكر مصيرهم الأليم<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴿[المنافقون: 9، 11].

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰهَا وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: 12-14].

### 3 - طلب الانتقام من الأولياء :

قال تعالى: ﴿قَالَ أَذُلُّوْا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَّا أُخْتَبَأَ حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَتَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُولِنَهُمْ لِأُخْرِبْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿[الأعراف: 38-39].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم واجتمع قاصيهم بدانيهم بدأ الخصام والجدال<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿هَٰذَا وَرِثٌ لِّلظَالِمِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنَسَ الْمِهَادِ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَبِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِن شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ يُقَدِّجُهُمْ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا يَوْمَ إِلَهُمُ صَلَّوْا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنشَرْنَا لَمْ مَرْجَا يَكُزْ أَنشَرْنَا قَدْ شَمَّوْهُ لَنَا فَنَسَ الْفَرَارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿[ص: 55-61].

(1) مطالب الظالمين، ص: 65.

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا أَصْلَانَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [فصلت: 29].

وفي قوله: ﴿الَّذِينَ أَصْلَانَا﴾ أي: الشياطين على ضربين: جني وإنسي<sup>(1)</sup>.

وترى الحنق والتحرق على الانتقام في قولهم: ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: 29].

وذلك بعد المودة المخادنة والوسوسة والتزيين، هذه صلة الوسوسة والإغراء<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِليًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَانَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَانِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: 64 - 68].

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِن الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنك لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 165-167].

(1) مطالب الظالمين، ص: 70.

(2) في ظلال القرآن (5 / 3120).

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً فظلموا الحق وظلموا أنفسهم. لو مدوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد، لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين، لو يرون لرأوا أَنَّ الْقُوَّةَ لَهِ جَمِيعاً، فلا شركاء ولا أنداد ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾.

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأوا العذاب، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها وعجزت عن وقاية أنفسهم، فضلاً عن وقاية تابعيها وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكَّ لَنَا كَرَهُ فَنَتَّبِرَآ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [البقرة: 167] وتبدي الحنق والغيط من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة وتمنوا لو يردون لهم الجميل لو يعودون إلى الأرض فيتبرأون من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب. إنه مشهد مؤثر مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين بين المحبين والمحبوبين وهنا يجيء التعقيب الممضي المؤلم ﴿كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167]<sup>(1)</sup>.

#### 4 - طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء :

قال تعالى: ﴿وَيَبْرُرُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَتُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(1) في ظلال القرآن (1 / 153 ، 154).

كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوِنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ  
 هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾  
 وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ  
 فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا  
 تَلُمُونِي وَلَوْلَمَآ أَنْفَسْتُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ  
 بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿إبراهيم: 21-22﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بِنافعكم ومنقذكم  
 ومخلصكم مما أنتم فيه.

﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بِنافعي بإنقادي مما أنا فيه من  
 العذاب والنكال<sup>(1)</sup>. وقال القرطبي: فلا أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي،  
 والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعونة، والمصرخ  
 هو المغيث<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ  
 ﴿٦٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا  
 تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ  
 يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: 62-64].

في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ والله يعلم  
 أنه لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً

(1) مطالب الظالمين، ص: 85.

(2) تفسير القرطبي (9 / 233 ، 234).

ولا يستطيعون إليهم سبيلاً، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال فليس المقصود به هو الجواب، إنما يحاولون أن يتبرأ من جريرة إغوائهم لمن وراءهم وصددهم عن هدي الله، كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ربنا إنما لم نغوهم قسراً، فما كان لنا من سلطان على قلوبهم إنما وقعوا في الغواية عن رضى منهم واختيار، كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ من جريمة إغوائهم مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ، إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من خلقك، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة، وفي قوله: ﴿وَرَأَوْا الْكُذَّابَ﴾ ﴿٥٢﴾ رأوه في هذا الحوار ورأوه ماثلاً وراءه، فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب، وهنا في اللحظة التي يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه وهو أمنية المتمنى في ذلك الموقف المكروب وهو بين أيديهم في الدنيا ولو أنهم إليه يسارعون لَوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: 52 - 53].

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾.

(1) في ظلال القرآن (5 / 2706).

والمعنى: أن الله تعالى بيّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى ألهمتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ نَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوا أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَدَ لِمَنْ أَصَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: 31 - 33].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ يَوْمَ تُمْنُونَ ﴿٤٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سبأ: 40 - 42].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّمَعَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا كُنَّا مُعْتَبَرِينَ عَنَّا نِصَابًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: 47، 48].

(1) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 95.

وقال تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّصَدَّقٌ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ قَالُوا بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٤٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰٓبِقُونَ ﴿٤١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰٓوِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَنتُمْ بِوَيْدِي فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الصفات: 27 . 34].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾، قال ابن عباس: يقولون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء<sup>(1)</sup>.

#### 5 - طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا نُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمٍ كَفَرُوا فَكَفَرُوا عَلَيْنَا فَأَعْقَبْنَاهُمْ لِنُكْصِرَهُمْ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: 64 - 67].

وفي ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم:

﴿إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون. ﴿فَكَفَرُوا عَلَيْنَا فَأَعْقَبْنَاهُمْ لِنُكْصِرَهُمْ﴾، أي: إذا دعيتم أبيتم وإن طلبتم امتنعتم<sup>(2)</sup>.

(1) مطالب الظالمين، ص: 106.

(2) المصدر نفسه، ص: 116.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ﴾، قيل مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهله سامراً وكانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَلَّيْتَنِي لَئِن لَّمْ أَخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفرقان: 27 - 29).

\* قال تعالى: ﴿كَرَّهْنَاكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَّتْ حِينِ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص: 3].

ومعنى قوله: ﴿فَنَادَوا وَوَلَّتْ حِينِ مَنَاصٍ﴾: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم وأرادوا التوبة في غير وقتها<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آتِنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا آتِنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتَهُ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَلَئِنْ كُنْتُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: 11، 12].

وفي قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا، فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون، فأجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن

(1) مطالب الظالمين، ص: 116، تفسير ابن كثير (3 / 257).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 26)، مطالب الظالمين، ص: 127.

سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه، بل تمجه وتنفيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12]. فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الدليل إيمانكم بالشركاء وكفركم بالوحدانية، فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم. الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾﴾ [السجدة: 20، 21].

#### 6 - طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: 49، 50].

#### 7 - طلب القضاء عليهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٥٦﴾ لَا يَمُرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَتَادُوا بِعَذَابِكُمْ لِيَقْضَىٰ رَبُّكَ قَوْلَ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْذَرْتُمُ لِلْحَقِّ كُدْرَهُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف: 74 - 78].

8 - طلب سقيا الماء والطعام:

قال تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ الْأَعْرَابِ رِيَالًا يَمْشُونَ بِمِيعَتِهِمْ قَالُوا مَا آغَيْنَا عَنْكُمْ جَمْعَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْأَلُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنتَدُّنَّزُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَنْ يَفِضُوا عَلَيْهَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِبِأَيِّنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 48-51].

9 - طلب النور:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَمْ يَأْبَ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلِيمُهَا مِنْ فَبِيلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: 13، 14].

إن المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمنافقات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أتى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وعاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً يناديهم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور،

وعلى الفور يُفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لِّمِ بَابِ بَابُنَّهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت منها، هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، فما بالنا نفرق عنكم؟ ألم تكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد<sup>(1)</sup>؟

﴿وَلَكِنَّكُمْ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

﴿وَأَزَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

﴿وَعَزَّزْتُمْ الْأَمَانِي﴾ أي: قلتم سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت. ﴿وَعَزَّزْتُمْ بِاللَّهِ الْقُرُوءَ﴾ أي: الشيطان<sup>(2)</sup>.

خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار:

من الجرائم التي تدخل النار، الإشراك بالله تعالى، والتكذيب، للرسول، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل،

(1) ظلال القرآن (6 / 3486).

(2) مطالب الظالمين، ص: 159.

واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، الفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه، وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب للباطل، واستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات<sup>(1)</sup>.

### سادساً: أكبر جرائم المخلدين في النار:

إن الذي يتدبر القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله ﷻ قد ذكر أسباب جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار من أهمها:

#### 1 - الكفر والشرك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

#### 2 - طاعة قرناء السوء:

قال تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 57.58.

إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِنَدَا الْقُرْآنِ وَالنَّوَىٰ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَٰءَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُٰ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿فصلت: 25-28﴾

## 3 - النفاق :

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: 68].

- وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفتح: 6].

## 4 - الكبير :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: 36].

- وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزمر: 72].

- وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿[غافر: 75, 76].﴾

## 5 - عدم القيام بالتكاليف الشرعية:

مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين: ﴿مَا سَأَلَكُمُ فِي سَفَرٍ ۖ ﴿٤٤﴾﴾ فيجيبون قائلين: ﴿قَالُوا لَوْ لَرْنَا مِنْكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ ﴿٤٥﴾﴾ وَلَوْ نَكُ نَطْمِئُ الْمَسْكِينِ ۖ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْخَائِبِينَ ۖ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا أَلْيَقِينَ ۖ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: 43، 44، 45، 46، 47].<sup>(1)</sup>

سابعاً: اشخاص باعينهم في النار:

ذكر الله تعالى بعض الأشخاص بأعينهم وبين أنهم من أهل النار، ونحن - كمسلمين - لا نشهد لأحد بعينه أنه من النار إلا من شهد الله له ورسوله<sup>(2)</sup>، ومن هؤلاء:

## 1 - فرعون وجنوده:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۖ ﴿٤١﴾﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذَا الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۖ ﴿٤٢﴾﴾ [الفصص: 41، 42].

- وقال تعالى: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 45-46].

(1) الحياة في القرآن الكريم المحزون (1 / 269). اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر، ص: 55.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 466.

## 2 - قارون وهامان :

قال تعالى: ﴿وَقَدْرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 39، 40].

- وقال تعالى: ﴿لَنَسْفَعْنَا بِهِمُ وَيْدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتْرَةٍ يَصْطُرُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: 81].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَهَمَزَانٍ فَقَالُوا سَدِجْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: 23-25]، فساماهم الله تعالى كافرين<sup>(1)</sup>.

## 3 - إبليس وابن آدم القتال :

أما إبليس فالآيات كثيرة ودخوله النار من المعلوم بالدين بالضرورة، بل معلوم في جميع الأديان كمثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: 16، 17].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 467.

- وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: 84-85].

#### 4 - امرأة نوح وامرأة لوط:

قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم: 10].

#### 5 - كفره الجن في النار:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْإِنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَقِيلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الاعراف: 179].

- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: 15، 14].

#### 6 - أحد أبناء نوح:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: 42-43].

#### 7 - قوم نوح:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ

ءَامَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفَلَكَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَرَحِمْنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: 36-37].

### 8 - قوم عاد:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْآخِرَةِ أَلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٥٨﴾ [هود: 59-60].

### 9 - قوم ثمود:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَنْتَوِ بِهَا آلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودٍ ﴿٦٨﴾ [هود: 67-68].

68. فحكم الله عليهم بالكفر وقد قدمنا أن أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون<sup>(1)</sup>.

### 10 - قوم لوط:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ لُوطٍ مِّنْهُمَا نَافِلَةً وَأَمَاطْنَا لُوطَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ إِلَىٰ يَمِينِهِ ﴿٨٧﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٨﴾ [هود: 82-83].

### 11 - قوم شعيب:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٩١﴾ كَأَن لَّمْ يَنْتَوِ بِهَا آلَا بُعْدًا لِلْمُذِبِّينَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٢﴾ [هود: 94، 95].

- وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 472.

يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٨٦﴾ [الشُّعْرَاءُ: 189] . وتكذيب الرسل من أنواع الكفر<sup>(1)</sup>.

## 12 - بنو النضير من اليهود:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر: 3] .

وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول ﷺ وأرادوا قتله بإلقاء الحجر عليه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم<sup>(2)</sup>.

وهذا الحكم ليس خاصاً بيهود بني النضير، بل كل من سمع بدعوة النبي ﷺ من اليهود والنصارى ولم يسلم فهو في النار<sup>(3)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(4)</sup>.

## 13 - أبو لهب وامراته:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: 1، 5].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 473.

(2) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص: 293.

(3) اليوم الآخر، الجنة والنار، ص: 473.

(4) مسلم، ك الإيمان، رقم: 153.

14 - الوليد بن المغيرة: وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتَ لَهُ نَهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ بَطَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِكْتِنَانًا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَوْهُمْ صَمُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصَلِّيهِ سَرًّا ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: 10، 26].

جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فاتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرضه لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له، قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلالة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِيدًا﴾<sup>(1)</sup>.

ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليراجع كتاب أهل النار، ليوسف الحاج أحمد<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، ص: 473.

(2) كتاب أهل النار ليوسف الحاج أحمد، ص: 269. 145.

## المبحث الثالث موانع إنفاذ الوعيد

تحدث العلماء عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة وذكروها في موانع إنفاذ الوعيد والتي منها:

أولاً: التوبة: مانع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب، ودليل ذلك الكتاب والسنة،

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَرُ: 53] ، أي: لمن تاب<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [النَّار: 38] ، فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴿[المائدة: 38 ، 39].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﻻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ»<sup>(3)</sup>.

وأما الإجماع: فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعينة، ومن الزنا، ومن فعل فعلة قوم

(1) تفسير الطبري (24 / 17) تفسير ابن كثير (4 / 58).

(2) مسلم (4 / 2113).

(3) صحيح الجامع الصغير للألباني (1 / 386).

لوط، ومن شرب الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربّه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان<sup>(1)</sup>. فالتوبة مانع شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول مختص بهذا المانع<sup>(2)</sup>. فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: الاستغفار:

دلت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد، ومن هذه النصوص:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَقْمُونَ فِيهَا الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ آل عمران: 135-136.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء: 110].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦٤﴾ [النساء: 64].

(1) موانع إنفاذ الوعيد، د. عيسى السعدي، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، ص: 41.

(3) منهاج السنة (3 / 180).

- وقال ﷺ: «أن عبداً أصاب ذنباً، وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت، وربما قال: أصبت، فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً، قال: رب أصبت ذنباً أو قال: أذنب آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثلاثاً، فليعمل ما شاء»<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(2)</sup>. فدلّت هذه النصوص المحكمة على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً : الحسنات الماحية:

دلت نصوص شرعية كثيرة على أن الحسنات يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد السيئات، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَحْسَنَتِ يُدْهِبَنَّ أَلْسِنَاتِ﴾ [مؤد: 114].

- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله

(1) البخاري، ك التوحيد (6 / 2725).

(2) مسلم، ك التوبة (4 / 2106).

(3) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 56.

حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(1)</sup>.

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار»<sup>(2)</sup>.

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توبوا فأحسن الوضوء خرجت خطاياهم من جسدهم حتى تخرج من أظفاره»<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقى من درنه؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا»<sup>(4)</sup>.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «من صام إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(5)</sup>.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(6)</sup>.

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/81).

(2) مسلم، ك الإيمان (1/58).

(3) مسلم، ك الطهارة (1/216).

(4) البخاري، ك مواقيت الصلاة (1/197).

(5) مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان (1/524).

(6) البخاري، ك الحج، (2/553).

## رابعاً: دعاء المؤمنين:

النصوص الشرعية التي دلت على مشروعية الدعاء للمؤمنين، بالمغفرة والرحمة تدل قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهم مظاهر انتفاعه عدم إنفاذ وعيده بسبب دعاء المؤمنين واستغفارهم، ولا شك أن الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد المدعو له إذا لقي الله متلبساً بمكفر، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر لئن الله أخبر في كتابه بأنه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] ، كما أن النصوص الشرعية دلت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعل معين لمن لقي الله كافراً، فقد دل على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] .

والمقصود من هذا كله أن تحريم الاستغفار بمختلف صورته لمن لقي الله كافراً، يدل من وجه آخر على أن طلب المغفرة وما في معناها لا أثر له البتة في إسقاط وعيده، كما أن الدعاء من حيث هو لا يترتب عليه أثره، إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه، ومن شروطه كون المطلوب جائز الطلب شرعاً، ومن موانعه الاعتداء في الدعاء، وحينئذ فطلب المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكن أن يترتب عليه أثره لتخلف شرطه ووجود مانعه<sup>(1)</sup>.

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 100.

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها:

- قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمّد:

. [19

- وقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

- وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]

- وقال ﷺ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلهم

فصلوا عليه»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته

أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»<sup>(2)</sup>.

والشفاعة للميت . أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة . هي

المقصود من هذه الصلاة أصالة، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة

الجنازة بإخلاص الدعاء للميت، فقد قال: «إذا صليتم على الميت

فأخلصوا له الدعاء»<sup>(3)</sup>، ومن دعاء النبي ﷺ للميت في صلاة

الجنازة، قوله ﷺ: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه وأعف عنه، وأكرم

نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما

(1) البخاري، ك الجنائز (1/443).

(2) مسلم، ك الجنائز، باب: من صلى عليه أربعون (2/655).

(3) مسلم، ك الجنائز (2/662-663).

نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعده من عذاب القبر ومن عذاب النار»<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال: أخرت شفاعتي لأهل الكبائر»<sup>(2)</sup>.

فالاستغفار للمؤمنين وما في معناه إنما ينفذ الوعيد ظناً لا قطعاً لأنه دعاء، والدعاء قد لا يستجاب، إما لتخلف شرط وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهاد في ذلك، فقد يعتق الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: 85].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «اشفعوا تؤجروا»<sup>(3)</sup>.

والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وغير ذلك، فمن شفّع لينفع كان له نصيب من الأجر، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب أمن الملك على دعائه، وقال: ولك بمثل<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 - 663).

(2) مجمع الزوائد للهيتمي (10/ 211). رواه البزار اسناده جيد.

(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1432.

(4) تفسير القرطبي (5 / 295).

## خامساً: إهداء القربات:

دلت النصوص الشرعية على أن الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتب على عمل الإنسان وعلى ما هو من آثار عمله.

- قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا نَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:

. [164

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا

وَوَاءَنذَرُهُمْ﴾ [يس: 12]. أي نكتب أعمالهم التي باسروها بأنفسهم وأثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزئهم على ذلك، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشر<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة،

فعمل بها من بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها من بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر

مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير ابن كثير (3 / 565).

(2) مسلم، ك العلم (4 / 2059).

(3) مسلم، ك العلم (4 / 2060).

- وقال ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(2)</sup>.

وأما عمل الآخرين وما نشأ عنه من آثار فإن مقتضى دلالة هذه النصوص عدم مواخذة الإنسان عليه إن كان شراً، وعدم استحقاق ثوابه إن كان خيراً، وقد نص على هذا المعنى صراحة قوله سبحانه: ﴿أَلَا نَزِرُ وَرَزُّهُ وَرَزَّ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: 38 . 39].

وهذه الآية الكريمة لا تعني أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، وإنما تعني أن الإنسان لا يستحق عمل غيره<sup>(3)</sup>، فظاهر الآية أن الإنسان ليس له إلا سعيه، وهذا حق، فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم<sup>(4)</sup>، وقد دلت النصوص الشرعية على مطلق الانتفاع بعمل الآخرين ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه، توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن

(1) البخاري، ك حديث الأنبياء (3 / 1213).

(2) مسلم، ك الوصية (3 / 1255).

(3) مواضع إنقاذ الوعيد، ص: 113.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية (7 / 499).

تصدقته به عنها؟ قال: «نعم» قال: فإنني أشهدك أن حائطي المخرف<sup>(1)</sup>، صدقه عليها<sup>(2)</sup>. ومعنى: نفع الميت بالصدقة عنه، تنزيله منزلة المتصدق، بحيث تقع الصدقة نفسها عن الميت ويكتب له ثوابها<sup>(3)</sup>.

وهناك نصوص شرعية تدل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاط هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً، أما الدليل الإجمالي فيما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، فأحج عنها، قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فإله أحق بالوفاء»<sup>(4)</sup>، والحديث وإن ورد على سبب خاص، وهو الحج إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على المعتمد من أقوال أهل العلم، ولذلك قال ابن حجر: ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته، من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك<sup>(5)</sup>.

وأما الأدلة التفصيلية فمنها:

- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»<sup>(6)</sup>.

(1) المخرف: المكان المثمر: والحائط: البستان.

(2) البخاري، ك الوصايا (3/1013).

(3) نهاية المحتاج للرملي (6/92).

(4) البخاري (2/657.656).

(5) فتح الباري (4/66).

(6) البخاري، ك الصوم (2/690).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: استفتى سعد بن عبادَةَ رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله ﷺ: «فاقضه عنها»<sup>(1)</sup>.

- وعن بريدة رضي الله عنه، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «وجب أجرك، وردها عليك الميراث»، قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر فأصوم عنها؟ قال: «صومي عنها» قالت: إنها لم تحج قط، فأحج عنها؟ قال: «حجي عنها»<sup>(2)</sup>. أما الحقوق التي للناس، كالدين فقد دل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النص والإجماع.

- أما النص فما رواه البخاري بسنده عن سلمه بن الأكوع، أن النبي ﷺ أتى بجنّازة ليصلي عليها، فقال: «هل عليه دين؟» قالوا: لا فصلى عليه، ثم أتى بجنّازة أخرى فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلوا على صاحبكم». قال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله، فصلى عليه<sup>(3)</sup>.

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، أو من غير تركته، .. وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه،

(1) مسلم، ك النذر (3/1260).

(2) مسلم، ك الوصايا (2/805).

(3) البخاري، ك الكفالة (2/803).

كما يسقط من ذمة الحي<sup>(1)</sup>، ومن كل ما سبق يتبين أن النصوص الشرعية دلت على جواز إهداء القربات في الجملة<sup>(2)</sup>، وأن الميت يمكن أن ينتفع بكل ما يهدى إليه من قربات عدا القربات التي يتعين أن يفعلها العبد بنفسه، كالإيمان والتوبة<sup>(3)</sup>.

### سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعة المقبولة يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد المعين من أهل الكبائر ظناً لا قطعاً والشفاعة المقبولة هي التي انتظمت فيها شروط القبول، وهي ثلاثة:

- إذن الله في الشفاعة ودليله قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

- رضاه عن الشافع ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109]. أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن<sup>(4)</sup>.

- رضاه عن المشفوع له، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]. وأهل رضا الله هم أهل التوحيد، ولو كانوا أهل كبائر<sup>(5)</sup>.

(1) كتاب الروح، لابن القيم، ص: 165.

(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 117.

(3) المصدر نفسه، ص: 129.

(4) فتح القدير للشوكاني (3/ 387).

(5) المصدر نفسه (3/ 406).

وقد دل على هذه الشروط مجتمعة قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَىٰ﴾ [النجم: 26] ، أي الشافع والمشفوع له<sup>(1)</sup>.

### سابعاً: المصائب المكفرة:

المصائب اسم جامع للآلام التي تلحق بالإنسان نفسية كانت أو عضوية وهذه الآلام إما أن تكون قدرية وإما أن تكون شرعية، أما الآلام القدرية فتتقسم باعتبار المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام:

- آلام دنيوية، كنقص الأموال والأنفس والثمرات.

- آلام برزخية، وهي ما يكون في القبر من الفتنة والضعطة والروعة.

- آلام أخروية، وهي ما يكون في عرصات القيامة من الأهوال والكربات والشدائد<sup>(2)</sup>.

وقد دلت النصوص الشرعية بعمومها على أن هذه الآلام مما يكفر الله به الخطايا ومن هذه الأدلة:

- قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها»<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير السعدي (5/191).

(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 160.

(3) البخاري ك المرضي (5/2137).

- وقال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب<sup>(1)</sup> ولا وصب<sup>(2)</sup> ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها»<sup>(3)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»<sup>(4)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»<sup>(5)</sup>.

- وقد ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن نفس المصائب مكفرات ومثيبات، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَنْفِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: 120].

فرتب الله سبحانه الأجر على جملة أمور، منها ما هو من المصائب، كالنصب، فدل ذلك على أن الإنسان يؤثر على المصائب نفسها<sup>(6)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يشاك شوكة

(1) نصب: تعب.

(2) وصب: هو المرض.

(3) البخاري، ك المرضى (5/2137).

(4) البخاري، ك المرضى (5/2139).

(5) البخاري، ك الجنائز (1/422).

(6) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 157.

فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»<sup>(1)</sup>.

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلام التي هي عذاب، فإن ذلك مما يكفر به خطاياه<sup>(2)</sup>.

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات لأنها زواجر وجوابر معاً، أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك الأمور، فالأمر فيها ظاهر، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني: ﴿وَلَشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] ، وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعاودة، ولزجر الناس عن فعلهم، وأما إنها جوابر بمعنى أن مجرد فعلها مكفر لذنب المعاقب دون حاجة إلى مكفر آخر فدليله ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاً بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»<sup>(3)</sup>.

فدل الحديث على أن العقاب مكفر للذنب بمجرد فعله وهذا يعم العقوبات الشرعية المقدره وهي: الحدود، وغير المقدره وهي التعزيرات<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك البر، (4 / 1991).

(2) مجموع الفتاوى (24 / 375).

(3) مسلم، ك الحدود (3 / 1333).

(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص: 161.

## ثامناً: العفو الإلهي:

دلت النصوص الشرعية المتواترة دلالة قطعية على أن الله تعالى عفوٌ غفور، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب منها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 6].

- وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: 25].
- وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: 60].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 43].

وهذه النصوص، وما في معناها، تدل قطعاً على أن العفو الإلهي من موانع إنفاذ الوعيد<sup>(1)</sup>، ولكن لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعاً، ودليل هذا الأصل القرآن والسنة، فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُم مِّنْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72].

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»<sup>(2)</sup>.

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 175.

(2) البخاري، ك، التفسير (4 / 1636).

ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة<sup>(1)</sup>.

والعفو الإلهي يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد أهل الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله<sup>(2)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه صلى الله عليه وسلم حتى يضع عليه كنفه<sup>(3)</sup>، فيقره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم»<sup>(4)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(5)</sup>.

## المبحث الرابع الجنة

أولاً: الطريق إلى الجنة:

إن بداية الطريق إلى الجنة هو أن تتذكر الغاية التي خلقنا الله

(1) فتح القدير (1 / 475) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 176.

(2) تفسير الطبري (5 / 126).

(3) كنفه: ستره.

(4) مسلم، ك التوبة (4 / 2120).

(5) سنن الترمذي، ك الدعوات (5 / 548) إسناده حسن.

تعالى لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: 56، 57].

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم، وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك»<sup>(1)</sup>.

فالله ﷻ ما خلق العباد إلا لغاية واحدة وهي أن يعبدوه سبحانه وهذا يقتضي أن يحرص العبد أن تكون كل أعماله بل كل حياته عبادة لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162، 163].

والعبادة الشاملة المطلوبة هي ألا تتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل تفعله من عند نفسك، قبل أن تعلم حكم الله وحكم الرسول ﷺ فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: 1].

فمن العبادة هي المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين<sup>(2)</sup>.

(1) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم: 1359، وتفسير ابن كثير لسورة الذاريات آية،

(2) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هندواي، ص: 494.

فالمتابعة التامة للنبي ﷺ هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكمل وجه ممكن<sup>(1)</sup>.

ولا بد لدخول الجنة من عمل، فالعمل ركن من أركان الإيمان، وقد نص الله تعالى في مواضع كثيرة أن العمل سبب لدخول الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72].

- وقال تعالى: ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فالإيمان هو ما في القلب، والعمل الصالح هو ما ظهر على الجوارح، فهو جمع بين العقيدة والشريعة أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح) فلا يكفي أحدهما عن الآخر، فمن آمن ولم يعمل فهو كاذب في إيمانه إذ لو آمن حقاً لظهر على جوارحه أثر الإيمان بالأعمال الصالحة، ومن عمل الصالحات من غير إيمان فإنها لا تنفعه، إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان، كما في حديث عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل رحمه، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(2)</sup>، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(1) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداوي، ص: 494.

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: (214).

رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»<sup>(1)</sup>.

إذن لا بد للجنة من إيمان وعمل صالح، فمن كان عنده هذان الشرطان استحق بعد - رحمة الله - الجنة<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: 82].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا حَورَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 13، 14].

وقد فصل لنا الله تعالى بعض أنواع الأعمال الصالحة، فمن ذلك:

### 1 - التوبة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مِنْكُمْ خَلَفَ مِنْ بَدَلِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: 59، 60].

### 2 - تزكية النفس:

قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾ [طه: 76].

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2808.

(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 537.

3 - التقوى :

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿١٦﴾﴾  
[مريم: 63] .

4 - الصبر في البأساء والضراء :

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ آلاَءَ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ فَرِيقًا ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: 214] .

5 - الجهاد في سبيل الله :

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَمَأَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: 142] .

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُوا عَلَىٰ يَمْرُقَةٍ نُسِجَتْ مِنْ عَدَابِ اللَّهِ ﴿١٥﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ يَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾﴾ [الصف: 10، 12] .

6 - الشهادة :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ سَيُهَيِّجُهُمْ رَبُّنَا بِأَلْمَمٍ ﴿٢﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد: 4، 6] .

7 - الابتعاد عن الكبائر :

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَخِيحَاتِكُمْ وَدَخَلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿ [النساء: 31].

### 8 - إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَبِذَرُوهَا بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَمْ عُقِبِ الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ [الرعد: 22-24].

### 9 - التوكل على الله :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ [العنكبوت: 58، 59].

### 10 - قيام الليل :

قال تعالى : ﴿ نَتَجَافَىٰ جُودُهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: 16، 17].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءاخْذِينَ مَا ءَأْتَيْنَهُمْ رَبُّهُنَّ إِهْتَمَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا تَحَارَىٰ لَّهُمْ بِسَفْعِنُورٍ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ [الذاريات: 15، 19].

## 11 - خوف الله :

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التازعات: 40، 41].

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة<sup>(1)</sup>.

- من سورة المؤمنون:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزُّكُوفِ فَاعِلُونَ ۝ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ١١﴾ [المؤمنون: 1، 11].

- من سورة الفرقان:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

(1) اليوم الآخر، المطيري، ص: 537 - 540.





تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿الفَتْح: 17﴾ .

وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها والتي تجتمع في أصليين:

إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى خلقه .

وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا تحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً<sup>(1)</sup>.

وأما الأعمال التي هي سبب لدخول الجنة الواردة في السنة فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر<sup>(2)</sup>.

ثانياً: هل الجنة ثمناً للعمل؛

الأعمال لاشك أنها سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة أعظم

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 444.

(2) انظر: موجبات الجنة لمعمر عبد الوهاب الأصبهاني، وتمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة للإدرسي.

من أعمالنا، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة، لذلك فإن الله برحمته يدخل المؤمنين الجنة ويجعلها من نصيبهم مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَاحِدًا لِّدِينِهِ لَمْ يَأْتِكُمْ بِهِ إِلَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ﴾ [الأعراف: 43].

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية - التي أعطاهم إياها - بجزاء عظيم جداً وهي الجنة، فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخراً<sup>(1)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته من فضله»<sup>(2)</sup>، وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول، قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يَدْخَلَ الجنة عمله»<sup>(3)</sup>، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»<sup>(4)</sup>. وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمته من الله»<sup>(5)</sup>، وهو حديث متواتر<sup>(6)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 542.

(2) البخاري، ك المرضي، رقم: 5349.

(3) البخاري ك الرقاق، رقم: 2818.

(4) المصدر نفسه، رقم: 2818.

(5) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2817.

(6) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 201.

وأما قوله تعالى: ﴿يَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]، فلا تعارض بينها وبين الحديث لأن الآية تدل على أن العمل سبب، والحديث يدل أن الأعمال ليست ثمناً للجنة، ولا بد من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: أول وآخر من يدخل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 10 - 12].

السابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات، فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم يلي السابقين أصحاب اليمين الأبرار الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، منزلتهم دون المقربين، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَاهُمْ أَجْبَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَزْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 27-40]، ولا شك أن رسولنا محمداً ﷺ أول السابقين، وأنه أول من تفتح له الجنة، وتدخل أمته

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 543.

(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).

بعده، وهي أول الأمم دخولاً الجنة، وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة منها<sup>(1)</sup>:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»<sup>(4)</sup>، وأما آخر من يدخل الجنة، فقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عن ذلك، فقال: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك مني، وأنت الملك؟» قال الراوي عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله ﷺ. ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة<sup>(5)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 331.

(3) المصدر نفسه: 333.

(4) مسلم بشرح النووي (6 / 143).

(5) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6571.

رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب؛

أول زمرة تدخل في هذه الأمة الجنة هم القمم الشامخة في الإيمان والتقوى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفاً واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر<sup>(1)</sup>، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنتبهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشيا<sup>(2)</sup>».

وقال رسول الله ﷺ: «أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي ﷻ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً<sup>(3)</sup>».

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفاً الأوائل وبين علاماتهم، قال النبي ﷺ: «عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتبون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 123.

(2) فتح الباري (6 / 318).

(3) صحيح الجامع (1 / 350) رقمه: 1068.

يتوكلون»، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام إليه رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: أسماء الجنة:

الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمنها:

#### 1 - الجنة:

وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20].

#### 2 - جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۗ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: 15]، وسميت بذلك لخلود أهلها فيها.

#### 3 - جنة النعيم:

قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلِي مِنَ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: 85]، وسميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

#### 4 - جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 15]. وسميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين.

(1) فتح الباري (11 / 405).

## 5 - جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَّهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٥﴾﴾ [ص: 50]. فهي درجة من درجات الجنة.

## 6 - دار السلام:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأنعام: 127].

- وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [يونس: 25]. وسميت بذلك لأمر منها:

- لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ومن كل بلية وآفة.

- لأنها دار السلام، ومن أسمائه «السلام»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿الحشر: 23﴾. فهي دار السلام، يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سلمها وسلم أهلها.

- ولأن: ﴿يَجَنَّبُكُمْ فِيهَا سَلَامًا﴾ [إبراهيم: 23] ، ﴿يَجَنَّبُكُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44].

- وأول ما تستقبلهم به خزنة الجنة هو السلام: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا

﴿الزمر: 73﴾. قال تعالى: ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَدْخُلُوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ اُذُنِ الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23، 24] والرب يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَآئِمٌ وَهُمْ مَّا يَدَّعَوْنَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: 57، 58].

- كلامهم فيها سلام، أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل لا يقولونه ولا يسمعون، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا اِلَّا سَلٰمًا وَهُمْ يُرَفِّقُونَ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مریم: 62].

وقل تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدٰٓبًا ﴿٣٥﴾﴾ [التبٰٓ: 35] ، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْمِيًا ﴿٦٥﴾ اِلَّا قِيٰلًا سَلٰمًا ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة: 25، 26].

7 - دار المتقين:

قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِيْنَ ﴿التحل: 30﴾﴾ ، وسميت لأنهم أهلها.

8 - دار الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اٰتَقُوْا اٰفٰلًا تَعْقِلُوْنَ ﴿يوسف: 109﴾﴾ .

والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [البقرة: 94].

- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلْنَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيدُوْنَ عُلُوًّا فِي الْاَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْمُنٰٓبِئَةُ لِلْمُنٰٓفِيْنَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83].

## 9 - الحسنى :

قال تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسْنَا نْزِيَادُهُمْ﴾ [يونس: 26] (1).

وقال ﷺ: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» (2).

## 10 - دار المقامة :

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَمَعَدُ لِلَّهِ الَّذِي آذَىٰ عَنْهَا لُحُزْنٌ إِلَىٰ رَبِّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (3) الَّذِي آحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ [فاطر: 34-35]. دار المقامة يعني: دار الإقامة (3).

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل «المدخل الكريم» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31] ﴿لِحَسَنٍ مَّآبٍ﴾ المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ (4) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْ فَتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿ [ص: 49-50] (4).

## 11 - الفردوس :

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (1) أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَرْدَوْسُ ﴿ (2) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [المؤمنون: 9-11].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 523 إلى 526.

(2) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 253.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 528.

(4) المصدر نفسه، ص: 528.

سادساً: صفة الجنة:

مهما كتب الكتاب والأدباء، وتخيّل المتخيلون، وأبداع المبدعون ووصفاً للجنة، فلن نجد مثل وصف القرآن الكريم ونبية الكريم لحقيقتها، فقد وصفها الله ﷻ بأمر منها:

### 1 - أبواب الجنة:

- قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَنَةً لَّهُمُ الْأُبُوبُ ﴿٥٠﴾ [ص: 49-50].

- وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: 23، 24].

- وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ [الزمر: 73].

- وقال ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»<sup>(2)</sup>.

(1) فتح الباري (6 / 378).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 46.

- وقال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين<sup>(1)</sup> في سبيل الله نُودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم»<sup>(2)</sup>.

## 2 - قصور الجنة وخیامها:

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سُمى الله ﷻ في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات، وهي القصور التي من فوقها غرف مبنية محكمة مزخرفة<sup>(3)</sup> عالية، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف، وأن في الجنة خياماً عجيبية فهي من درة مجوفة، وفي ذلك يقول سبحانه في آيات كثيرة منها:

- قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وِرْضُونَ مِنْ أَلْوِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: 72].

(1) زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان.

(2) مسلم، ك الزكاة، شرح النووي (7 / 115-116).

(3) تفسير ابن كثير (4 / 46).

- قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تُقَرَّبُونَ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَسْطَىٰ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٧٧﴾ [سَبَأَ: 37].

- وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَافِعَ وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان: 75، 76].

- وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَوْعِهَا عُرْفٌ مِّنْ مَّيْمَنَةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ [الزمر: 20].

- وقوله سبحانه في خيامة الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72]، إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء، وإنما الأشياء تتحرك إليه، فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ويطفأ عليهم بما يشتهونه، فالحور يكن في بيوت. والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة<sup>(1)</sup>، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهم للارتحال إلى المؤمنين خيام، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور<sup>(2)</sup>، وقد وصف رسولنا ﷺ، قصور الجنة، حين دلنا على صفات بعض قصور أصحابه، فقال: أتى جبريل النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدم أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك

(1) تفسير المراغي (9/ 129).

(2) التفسير الكبير (29/ 118).

فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها بيت في الجنة من قَصَبٍ<sup>(1)</sup>، لا صخب فيه ولا نصب<sup>(2)(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصرأ، فقلت، لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك»، فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليك يغار<sup>(4)</sup>.

وقد وصف النبي ﷺ خيام الجنة بأنها درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»<sup>(5)</sup>.

### 3 - أشجار الجنة وثمارها:

وصفت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعنان والنخيل والرمان، حيث الجمال الرائع والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الأثمار وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبا: 31، 32].

- (1) المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.
- (2) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب: التعب.
- (3) البخاري، ك مناقب الأنصار، رقم: 3821.
- (4) مسلم، ك فضائل الصحابة شرح النووي (15/ 163).
- (5) صحيح البخاري، رقم: 3243 فتح الباري (6/ 366).

وإلى جانب هذه الحدائق والأعنان هناك فاكهة كثيرة متنوعة ومنها ثمر النخيل والرمان ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (١٨) ﴿الرَّحْمَنُ﴾: [68] كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا، فإنه كثير الأشواك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح<sup>(1)</sup> المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وأنه متراكم الثمر<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَخْضَبُ الْيَمِينِ مَا أَحْضَبُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) ﴿فِي بَيْدْرِ مَخْضُورٍ﴾ (٢٨) ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُورٍ﴾ (٢٩) ﴿وَطَلْحٍ مَّذُورٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (٣١) ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٣٢) ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 27-33].

وفواكه الجنة لا تحجب عن مؤمن فضلاً عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعو ليجد بغيته أمامه، قال تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (٥١) ﴿ص: 51﴾ وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَخْتِزُونَ﴾ (٦٠) [الواقعة: 20].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْثِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤١) ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ﴾ (٤٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) [المرسلات: 43-41].

وأشجار الجنة دائمة العطاء، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح<sup>(3)</sup>، قال تعالى:

(1) الطلح : الموز : واحدها طلحة.

(2) تفسير ابن كثير (4/ 253).

(3) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35].

وقال سبحانه: ﴿وَفَكَهَمَهُ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: 32 . 33].

ووصف الله ﷻ أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مذللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِيءُ آيَاتِنَا رَتِّبْنَا تَكْذِبَانَ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتًا أَقْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: 46 . 48].

- وقال ﷻ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِيءُ آيَاتِنَا رَتِّبْنَا تَكْذِبَانَ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمن: 62 . 64].

- وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: 54].

- وقال: ﴿فِي جَنَّاتٍ عَلَيْكُمْ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: 22 . 23].

ولقد وصف الرسول ﷺ بعض أشجار الجنة بأوصاف عجيبة<sup>(2)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

(2) المصدر نفسه (2/ 646).

أ - الشجرة التي يسير الراكب فيها مائة عام:

وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه: ﴿وَطَلِّ مَمْدُودٍ﴾، وقد فسره النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وقرأوا إن شئتم: ﴿وَطَلِّ مَمْدُودٍ﴾<sup>(1)</sup>، وعن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»<sup>(2)</sup>.

ب - سدرة المنتهى:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٧﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٨﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٩﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿٢٠﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿٢١﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: 13 . 18].

وقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ خَمْضٍ ﴿١٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُورٍ ﴿١٩﴾ وَطَلِّ مَمْدُودٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: 28 . 30]، فذكر في هذه الآيات ثلاث أنواع من الأشجار منها السدر، وفي قوله: ﴿فِي سِدْرٍ خَمْضٍ﴾، مخضود أي منزوع الشوك<sup>(3)</sup>، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال: هو الموقر بالثمر<sup>(4)</sup>، أي المليء بالثمر، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة العكس من هذا، الأشواك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله<sup>(5)</sup>.

(1) البخاري، بدء الخلق، رقم: 3252.

(2) مسلم، ك الجنة وصفة نعيمها، على شرح النووي (17 / 167).

(3) لسان العرب (3 / 163).

(4) البعث والنشور، لليهقي، ص: 172.

(5) تفسير ابن كثير (4 / 288).

## ج - شجرة طوبى :

ومن أشجار الجنة شجرة تسمى «طوبى»، وهي كما تبين من وصفها شجرة عظيمة تصنع ثياب أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري .<sup>(1)</sup> عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي»، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرآني». وقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها<sup>(1)</sup>».

وجميع أشجار الجنة لها ظل ظليل، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّ لَهُمْ جَنَّتُ بَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَفَيْهَا أَرْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: 57] ، والمؤمن يكثر حظه من أشجار الجنة بالإكثار من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(2)</sup>».

وسيقان أشجار الجنة من ذهب، قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب<sup>(3)</sup>».

- (1) الأكماء: جمع الكُم، وهو القشر، ولكل شجرة مثمرة: كم، وهو برعومته.
- (2) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: 1985.
- (3) صحيح الجامع الصغير (5 / 34)، رقم: 5028.
- (3) المصدر نفسه (5 / 150).

فالجنة خالدة لا تفتنى ولا تبيد، وأنواع نعيمها دائمة لا تنقطع ولا تمنع، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يبيدون ولا يموتون<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: 122].

- وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾ [الكهف: 107].

[108].

- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَتْهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: 51 . 57].

#### 4 - درجات الجنة:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: 75].

والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

(1) الحياة في القرآن (2 / 648).

- قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاجِدَةَ عَبَّأْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُبَدِّلُ هَتُورًا وَهَتُورًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء: 18-21]، فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطائه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا<sup>(1)</sup>.

وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253].

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 163]، وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل، فكلما كان عمل الإنسان أكثر وموافقاً للسنة كان أجره أكثر ودرجته في الجنة أعلى قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ بِمَا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعمالَهُمْ وَهُمْ لَا يظلمُونَ﴾ [الأحاف: 19].

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 155.

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافون ربهم جنتين: ﴿وَلَمَن سَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 46] ، ووصفهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 62] ، أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرأ، علم أنهما دون الأوليين في الفضل، فالأوليات للمقربين، والأخريات لأصحاب اليمين، قال القرطبي: لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما، فقال في الأوليين ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 50].

وقال في الأخيرين: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَاَنِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 66] ، أي فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين، لأن النضخ دون الجري، وقال في الأوليين: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 52] معروف وغريب، رطب ويابس، فعم ولم يخص، وفي الأخيرين: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: 68] ، ولم يقل من كل فاكهة زوجان.

وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 54] ، وهو الديباج.

وقال في الأخيرين: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رَقَرٍ حُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حِسَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 76] ، والعبقري الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف كسر الخبا، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخبا، وقال في الأوليين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ الْفَوْزِ وَالْمَرْجَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 58] .

وفي الأخريتين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 70] ،  
وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتًا أَقْنَانٍ ﴿٨١﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 48] ، وفي  
الأخريين: ﴿مُدَاهَاتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 64] ، أي خضراوات كأنهما  
من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان  
والأخريين بالخضرة وحدها<sup>(1)</sup>.

وقد بين رسول الله ﷺ درجات الجنة فقال ﷺ: «إن أهل الجنة  
يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر  
في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول  
الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي  
بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(2)</sup>.

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى، وقد ذكرها الله  
سبحانه في كتابه في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَرْدُونَ ﴿١٦﴾﴾ الَّذِينَ  
يَرِيحُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: 10 . 11] ، وبين  
الرسول ﷺ منزلة هذه الدرجة، فقال ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله  
وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة،  
جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا  
رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله  
للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض،

(1) التذكرة للقرطبي، ص: 440، اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 159.

(2) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3083.

فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» قال راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه: فوق عرش الرحمن ومنه تضح أنهار الجنة<sup>(1)</sup>.

والمقصود بـ«أوسط الجنة» أي عرضاً و«أعلى الجنة» أي طولاً، فهذا يدل أن الفردوس على مثل الربوة أو القبة، ويدل أن الجنة مقببة<sup>(2)</sup>. قال ابن كثير: ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك<sup>(3)</sup>.

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة»<sup>(4)</sup>.

#### 5 - أنهار الجنة:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25].

- وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف: 31].

(1) البخاري، ك التوحيد، رقم: 6987.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 553.

(3) صفة الجنة، للحافظ ابن كثير، ص: 31 من كتاب البداية ولنهاية.

(4) مسلم، ك الصلاة، رقم: 384.

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللبن ومنها الخمر، ومنها العسل المصفى، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْرِفَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها وأفة العسل عدم التصفية<sup>(1)</sup>، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم - وهو الماء - وهذا لقوتهم وغذائهم - وهو اللبن - وهذا للذتهم وسرورهم - وهو الخمر - وهذا لشفائهم ومنفعتهم - وهو العسل<sup>(2)</sup>.

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، فعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «هو نهر في الجنة»، قال: قال النبي ﷺ: «رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاه الله»<sup>(3)</sup>.

(1) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص: 218.

(2) المصدر نفسه، ص: 219.

(3) البخاري، ك التفسير، باب سورة الكوثر، رقم: 4680.

6 - عيون الجنة:

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَذْخُلُوهَا بِسَلْوَةٍ ءَأَمِينٌ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: 45].  
[46].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 51 52].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت: 12] وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف مقام ربه، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: 50].

وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاجَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: 66]. والنضج فوران الماء وهو أبلغ من النضج، وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها وهي:

أ - عين الكافور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَثَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: 5، 6] فالأبرار يشربون ماء ممزوجاً بالكافور، بينما يشربه عباد الله المقربون صرفاً لا خلط فيه<sup>(1)</sup>، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع

(1) اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة، ص: 559.

ما يضاف إلى ذلك من اللذاعة في الجنة<sup>(1)</sup>.

### ب - عين السلسبيل :

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلًا ﴿٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَنْيِيلًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: 17 18] أي ويسقون - يعني الأبرار - أيضاً من هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلًا﴾، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد<sup>(2)</sup>.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتكَ؟» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسّموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر»، قال فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون»، قال: فما غذاؤهم على إثرها، قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرايبهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى

(1) تفسير ابن كثير (4/ 454).

(2) المصدر نفسه.

سلسبيلا»، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتكَ؟» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعَا فعَلَا مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله»، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثماً بإذن الله قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبى، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به»<sup>(1)</sup>.

ج - عين التسنيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَرِزَابُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: 22-29].

قال ابن عباس: تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين<sup>(2)</sup>.

7 - نور الجنة:

والجنة لها نور كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا مِنْ بَكْرَةٍ وَعَشِيًّا ﴿٧٧﴾﴾ [مریم: 62].

(1) مسلم، ك الحيض، رقم: 315.

(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص: 544.

في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرف مضيها بأضواء وأنوار<sup>(1)</sup>.

وقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13]: والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تعرفان بنور يظهر من قبل العرش<sup>(2)</sup>. وقال القرطبي: قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي<sup>(3)</sup>. وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»<sup>(4)</sup>. درمكة البيضاء: هي الدقيق الأبيض<sup>(5)</sup>.

## 8 - ربح الجنة:

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمن من مسافات شاسعة<sup>(6)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «من قتل رجلاً

(1) تفسير ابن كثير (3/ 129).

(2) مجموع الفتاوى (4/ 312).

(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 174.

(4) مسلم، ك الفتن، رقم: 2928.

(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 562.

(6) اليوم الآخر الجنة والنار، للأشقر، ص: 175.

من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين<sup>(1)</sup> عاماً».

### 9 - تربة الجنة :

عن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله ، مم خلق الخلق؟ قال : «من ماء» ، قلنا : الجنة ما بناؤها؟ قال : «لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها الدر الباقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه»<sup>(2)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : «أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»<sup>(3)</sup> .

### 10 .. دواب الجنة وطيورها :

في الجنة دواب وطيور كثيرة ، يركبها أهل الجنة ويأكلون منها ويتمتعون بالنظر إليها قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مریم : 85] .

قال علي بن أبي طالب ؑ : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب

(1) صحيح الجامع (5 / 337) ، رقم : 6333 .

(2) مشكاة المصابيح (3 / 89) ورقمه 5630 وقال محقق المشكاة وله طرق وشواهد ، وأوردة في السلسلة الصحيحة .

(3) البخاري (1 / 458 - 459) .

الجنة<sup>(1)</sup>، وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو - وهو ما له حكم الرفع - أن في الجنة إبلاً وخيلاً، حيث قال: في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب، ويركبها أهلها<sup>(2)</sup>.

وعن أبي مسعود الأنصار رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة»<sup>(3)</sup>، وهذه الرواية لم تنص أنها في الجنة، ولكن جاءت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة «في الجنة» حيث قال ﷺ: «لك بها سبع مائة ناقة مخطومة في الجنة»<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ طَيْرٍ بِمَا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21]، أي يأكلون من لحم طير يشتهونه، وعن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أحسن منها»<sup>(5)</sup>.

11 - الجنة لا مثل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

- (1) تفسير ابن كثير (3/ 137) بتصرف.
- (2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 205، قال المحقق: رجاله ثقات.
- (3) مسلم ك الإمارة، رقم: 1892.
- (4) السلسلة الصحيحة للألباني (2/ 227).
- (5) الترمذي، صفة الجنة، رقم: 2542، وحسنه جامع الأصول (10/ 467) حسنة الأرنؤوط.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السَّجْدَةُ: 17].

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقراءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(1)</sup>.

ولمن دخل الجنة ما يشاء من النعيم، وله كل يتمنى ويطلب، بل له فوق هذا بكثير قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30-31]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١٥﴾﴾ [ق: 35].

وما الظن بمكان موضع السوط أو القوس فيه خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(2)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» وقال: «الغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»<sup>(3)</sup>.

وما الظن بمكان الغمسة الواحدة فيه تنسي المعذب كل عذابه وشقائه في الدنيا، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ

(1) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3072.

(2) البخاري، رقم: 3078.

(3) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 2640.

صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط<sup>(1)</sup>.

### سابعاً: أصحاب الجنة:

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع إخلاص عظيم لله ﷻ واستقامة على شريعته، ووفاء بعهودهم وعدم نقضهم لها ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم لله وخوفهم من سوء العذاب، وصبرهم لله وإقام الصلاة، والإنفاق سراً وعلانية، ودرتهم بالحسنة السيئة قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمَلُؤْ أَنفًا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنذُرُكُمُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْفُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُشَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 19-24]<sup>(2)</sup>.

(1) مسلم ك، صفة القيامة، رقم: 2807.

(2) الجنة والنار، للأشقر، ص: 188.

والجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحبوباتها وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية وإرادة قوية، قال ﷺ: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»<sup>(1)</sup>، وهذا من بديع الكلام وفصيحة وجوامعها التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بإرتكاب المكاره والنار بالشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأثم المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبر على الشهوات، ونحو ذلك<sup>(2)</sup>.

### 1 - معرفة أهل الجنة لمساكنهم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَدَّلَ أَعْمَلُهُمْ ۗ سَيَبْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمِهِ ۗ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۗ﴾، أي إذا دخلوها يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي

(1) جامع الأصول على مسلم (10 / 521)، رقم: 8069 حسن، صحيح.

(2) شرح النووي على مسلم (17 / 165).

(3) تفسير القرطبي (16 / 153).

نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله الذي كان في الدنيا»<sup>(1)</sup>.

## 2 - هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة؟ وفي رواية: إنا تفاخروا وإنا تذاكروا: الرجال في الجنة أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»<sup>(2)</sup>.

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «وأيتكن أكثر أهل النار» والجواب لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني<sup>(3)</sup>، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة وبذلك يكن أكثر من الرجال وجوداً في الخلق<sup>(4)</sup>.

## 3 - أطفال المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(1) البخاري، ك المظالم والغصب، رقم: 2308.

(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2834.

(3) فتح الباري (6 / 325).

(4) الجنة والنار للأشقر، ص: 195.

وَمَا أَنْتَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّكُمْ لِيَوْمِ يَأْتِي بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿ [الطور: 21].

فهذه الآية تدل بعمومها على أن ذرية المؤمنين معهم في الجنة، لأن الطفل يولد على الفطرة وهي الإسلام، فإذا مات فهو ميت على الإيمان فيكون مع والديه في الجنان، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: 38 39]، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: هم أطفال المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم<sup>(1)</sup>.

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابت في السنة وذكر الكتاني أنها بلغت حد التواتر<sup>(2)</sup>، فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه مات لي ابنان فما أنت محدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال، قال: نعم: صغارهم دعاميص<sup>(3)</sup>، الجنة يلتقي أحدهم أباه - أو قال - أبويه - فيأخذه بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بصفة ثوبك هذا، فلا يتناهى - أو قال فلا ينتهي - حتى يدخله وأباه الجنة<sup>(4)</sup>، وعن البراء رضي الله عنه قال: لما توفي إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن له مرضعاً في الجنة»<sup>(5)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»<sup>(6)</sup>. وقال

(1) التذكرة للقرطبي (2/ 317) اليوم الآخر للمطيري، ص: 573.

(2) نظم المتواتر، ص: 127.

(3) دعاميص: جمع دعموص، أي، صغار أهلها.

(4) مسلم ك البر والصلة، رقم: 2635.

(5) البخاري، ك الجنائز، رقم: 1316.

(6) سنن ابن ماجه، رقم: 1604 سنده حسن.

رسول الله ﷺ: «ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام»<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

#### 4 - اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

من أحاديثهم ما قاله سبحانه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَدَابَ السَّمَوَاتِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 25-28].

ومن أحاديثهم تذكرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٧﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٢٨﴾ فَوَكِّهْهُمْ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٠﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٣١﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ فِرْعَانٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٣٢﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٣٣﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٣٤﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٣٥﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٣٦﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا قَابِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٣٨﴾ يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٣٩﴾ أَيْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَيْدَا لَدَيْتُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٤١﴾ فَاطَّلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْحَجِيرِ ﴿٤٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْوِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٤٤﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٤٥﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٤٧﴾ لِيُثَلَّ

(1) السلسلة الصحيحة (2/ 156)، رقم: 603.

(2) المصدر نفسه (3/ 451)، رقم: 1467.

هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ «الصفات: 39، 61».

تأمل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة، فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطراف الحديث، وفي أثناء حديثهم يُخدمون كالمملوك فعندهم الفواكه، ويطاف عليهم بالخمير اللذيذة وعندهم النساء الحور العين، ثم يبدأ الحوار، فيتذكر أحدهم صاحباً له كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث، فينادي منادي: هل تريد أن تعرف حاله؟ فيأخذ هذا الرجل ليريه ذلك الصاحب وقد استقر في قلب الحجيم يتقلب على الجمر لا يموت ولا يحيى، فيخاطبه سائلاً توبيخ واستنكار: هل نحن لا نموت إلا موتنا الأولى ولن نبعث ولن نعذب، ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم ويقارن بين الحالين فيرى البون الشاسع والفرق الواسع فيقول لنفسه وقد امتلاً سروراً وفاض غبطة: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(1)</sup>.

## 5 - أعلى أهل الجنة:

الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: 69] ، أي معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 571.

(2) المصدر نفسه، ص: 572.

وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذة عينيك، فيقول: رضيت ربي. قال: ربي، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترى عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيئَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(1)</sup>.

#### 6 - أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُخْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُرِيتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الذِّبِكُ ١٥] يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 189.

هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون: 10 11﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾»<sup>(1)</sup>.

7 - زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: 23]، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج يتكثرون في ظلال الجنة مسرورين فرحين، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكَبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس: 56]، وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: 70]<sup>(2)</sup>.

8 - مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة، فبعد أن تكلم الله ﷻ عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَسْمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: 132]، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ﴾ يعود على الإنس والجن، فدل على أن لهم درجات في الجنة بحسب عملهم<sup>(3)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 584.

(2) المصدر نفسه، ص: 582.

(3) المصدر نفسه، ص: 590.

وقوله تعالى في الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّهُنَّ فِتْنَةٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنُ: 56] ، فدل على أن الجن يدخلون الجنة ويتمتعون بالحور العين كما يحصل للإنس<sup>(1)</sup>.

## 9 - ضحك أهل الجنة من أهل النار:

كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنون ويسخرون منهم ويهزؤون بهم، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال، وتبدلت الأحوال فإذا بالمؤمنين، وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويسخرون بهم<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْءًا مِمَّنْ سَبَّيْنَا عَنْهَا الْمُتَفَرِّقِينَ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَاثِرًا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْتَىٰ بِالْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 22-36].

ثامناً: سادة أهل الجنة:

## 1 - الأنبياء والرسل:

سيد أهل الجنة هو الرسول ﷺ ثم إخوانه من الأنبياء

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 590.

(2) المصدر نفسه، ص: 582.

والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالَتِهِمْ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّمَا عِندَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ [ص: 45-50].

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ لِمَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرَبْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَوْنًا فَصَلَّيْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّكَأ فَعَدَّ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُو بِهَا يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمُ آفَاقَهُ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام: 82-90].

فوصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتهاد والإحسان وبين في آيات كثيرة أن المحسن جزاءه الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦) [يونس: 26].

وهذا معلوم من الدين بالضرورة، بل العقل يدل على ذلك، فإن الله تعالى لا يرسل مبلغاً عنه إلا وهو في الغاية القصوى من

الكمال البشري خلقاً وخلقاً وديناً وصلاحاً، وما كان الله ليعذب من دل الناس عليه<sup>(1)</sup>.

## 2 - سادات الصحابة:

الجنة درجات ومراتب وأهلها متفاوتون في درجاتهم وأعلى الدرجات فيها سادة أهل الجنة، فسيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لقوله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين»<sup>(2)</sup>، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»<sup>(3)</sup>، ونص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن عشرة من أصحابه في الجنة، فقد قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»<sup>(4)</sup>، وإسناده صحيح، وقد نص الرسول صلى الله عليه وسلم على مجموعة أخرى من الصحابة في الجنة منهم:

- جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب:

قال صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»<sup>(5)</sup>، وقد صح أن

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 585.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 487)، رقم: 824.

(3) المصدر نفسه (2 / 438)، رقم: 797.

(4) صحيح الجامع الصغير (1 / 70)، رقم: 50.

(5) المصدر نفسه (3 / 140) رقمه: 3358.

الرسول ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب»<sup>(1)</sup>.

- عبد الله بن سلام:

قال رسول الله ﷺ: «عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة»<sup>(2)</sup>.

- زيد بن حارثة:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»<sup>(3)</sup>.

- زيد بن عمرو بن نفيل:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين».

- حارثة بن النعمان:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر»<sup>(4)</sup>.

- بلال بن أبي رباح:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين يدي،

(1) صحيح الجامع (3 / 219) رقمه: 3569.

(2) المصدر نفسه (4 / 25) رقمه: 3870.

(3) المصدر نفسه (3 / 141) رقمه: 3362.

(4) صحيح الجامع الصغير (3 / 142) رقمه 3366.

قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك<sup>(1)</sup>.

### 3 - سيدات نساء أهل الجنة:

مريم بنت عمران هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون<sup>(2)</sup>»، وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

وهؤلاء الأربعة نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله: ﴿أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتِينِ﴾ [التخريم: 12].

وخديجة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد، وثبتته، وآسته بنفسه ومالها، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب<sup>(3)</sup>، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها مني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا

(1) المصدر نفسه (3/142)، رقم: 3364.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/410)، رقم: 1424.

(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 211.

صخب فيه ولا نصب»<sup>(1)</sup>، وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها فكفرت بفرعون وألوهيته فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية<sup>(2)</sup>.

وأمهات المؤمنين أيضاً من سيدات الجنة لأنهن مع النبي ﷺ في الجنة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزَوِّجَكِ إِنَّ كُنْتِ تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا فَتَعَالَيْكِ أُمَّتُكَ وَأَسْرِعُكَ سَرَلًا جَمِيلًا ﴿١٨﴾ وَإِنْ كُنْتِ تَرْضَيْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: 28، 29].

وعن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكرك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك» قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله ﷻ قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزَوِّجَكِ إِنَّ كُنْتِ تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا فَتَعَالَيْكِ أُمَّتُكَ وَأَسْرِعُكَ سَرَلًا جَمِيلًا ﴿١٨﴾ وَإِنْ كُنْتِ تَرْضَيْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: 28، 29]، قالت: فقلت: في أي هذا

(1) البخاري، ك المناقب فتح الباري (7/133).

(2) الجنة والنار للأشقر، ص: 212.

استأمر أبواي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة». وفي رواية: «جمع بينهما في الجنة»<sup>(2)</sup>، وعليه فتكون زوجاته عليه الصلاة والسلام معه في الجنة ولا يلزم من هذا أن يكن معه في نفس الدرجة، لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلا لرجل واحد ولكنهن قريبات منه ﷺ. ولا يلزم من هذا أيضاً أن تكون أمهات المؤمنين خير من كل أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تواترت الأحاديث على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين<sup>(3)</sup>، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ؓ<sup>(4)</sup>.

تاسعاً: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا:

قارن المولى ﷺ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها، ونجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب

(1) البخاري، رقم: 4508.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3/ 275).

(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص: 202.

(4) المصدر نفسه، ص: 203.

العاجل في مواضع<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ﴿آلِ عِمْرَانَ: 198﴾ .

- وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿آلِ عِمْرَانَ: 131﴾ .

- وقال في موضع ثالث: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ ﴿آلِ عِمْرَانَ: 14-15﴾ . وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه منها.

### 1 - متاع الدنيا قليل:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء:

. [77]

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم - فلينظر بم ترجع»<sup>(2)</sup>. ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في البحر الخضم، إنها لاتأخذ منه قطرة هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة ولما كان متاع الدنيا قليل، فقد

(1) الجنة والنار، للأشقر، ص: 223.

(2) مسلم (4/ 2193)، رقم: 2858.

عاب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38].

## 2 - هو أفضل من حيث النوع:

قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كِبِيرًا﴾ [الإنسان: 20].

بل لا وجه للمقارنة فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(1)</sup>، وقال ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»<sup>(2)</sup>، وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد. يعني سوطه. خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ربحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

(1) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 3078.

(2) البخاري، رقم: 2640.

(3) البخاري، رقم: 2643.

[الزَّخْرُفُ: 70] : أي تفرحون والفرح في القلب<sup>(1)</sup>.

### 3 - الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها:

فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والحيض أذى والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتفلون وخمر الجنة كما وصفها خالقها: ﴿يَصَّاءُ لَذَقٌ لِلشَّرِيبِ﴾ [الصَّافَات: 46]، وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ مَاسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَنْ يَنْغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [مَحَمَّد: 15]، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25].

وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر وتعكر المزاج وتستثير الأعصاب، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال، ﴿لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْيِيبٌ﴾ [الطور: 23].

ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا وَلَا كَذْبًا﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا إِلَّا سَلَمًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَعْنَةً﴾ [العنكبوت: 11] إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا وَلَا تَأْيِيبًا﴾ [يونس: 10] ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا﴾

(1) اليوم الآخر، في القرآن العظيم، ص: 593.

سَلَّمَ ﴿٦٦﴾ [الواقعة: 25 . 26] فأهل الجنة عند دخول الجنة، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً<sup>(1)</sup>، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الحجر: 47].

#### 4 - نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق:

قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: 64] ، ولذلك سمي الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً، لأنه يتمتع به ثم يزول، وأما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاذ قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿٦٩﴾﴾ [التحل: 96] ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقًا مَّا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٧٠﴾﴾ [ص: 54] ، وقال: ﴿أَكْثُلُهُمْ دَايِرٌ وَظَلْمَاءٌ ﴿٧١﴾﴾ [الرعد: 35] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: 48].

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: 45 46].

فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهو ويثمر وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوب ويصفر، ثم تعصف به

(1) فتح الباري (6/ 318) الجنة والنار، للأشقر، ص: 227.

الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع كلها تتلاشى وتنقضي، فالشباب يذوب ويذهب، والصحة والعافية تبدل هراماً ومرضاً، والأموال والأولاد قد تذهب وأما الآخرة فلا رحيل ولا فناء ولا زوال، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النحل: 30-31].

### 5 - العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]، وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها<sup>(1)</sup>.

ومن تكريم الله لهم أن الجنة تقرب لهم، لا يقربون هم إلى الجنة قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشُّعْرَاءُ: 90]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: 31]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: 13]، أي: قربت<sup>(2)</sup>.

### عاشرًا: نعيم أهل الجنة:

#### 1 - طعام أهل الجنة:

الجنة لا جوع فيها ولا عطش، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿٧٧﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٧٨﴾﴾ [طه: 118]،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 595.

(2) المصدر نفسه.

[119]، وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس»<sup>(1)</sup>، وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرة من طعامهم منها:

- الفاكهة بجميع أنواعها: قال تعالى: ﴿وَفَلَكَهَمَّ وَمَا يَتَخَبَرُونَ﴾ [الواقعة: 20] ، ومن هذه الفاكهة العنب ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ مَفَازًا﴾ [٢١] حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: 31-32]، وهذه الفاكهة ليست بقليلة بل هي كثيرة ﴿لَكُلِّ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73].

ولا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له ﴿مُنْكِبِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهَمَّ كَثِيرًا وَسَرَابًا﴾ [ص: 51].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهي حتى تكمل اللذة فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهي: ﴿وَفَلَكَهَمَّ وَمَا يَتَخَبَرُونَ﴾ [٢١] وَلَعِبٍ طَيْرٍ وَمَا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 20، 21].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ﴾ [٢١] وَقَوَائِكَ وَمَا يَشْتَهُونَ﴾ [٢٢] كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: 41 - 43].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا، بل هي متوفرة دائماً، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2835.

﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴿٦١﴾ وَفَكَهَمٌ كَبِيرٌ ﴿٦٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقعة: 31-33]، وإذا انتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء: ﴿وَدَائِنَةٌ عَلَيْهِمْ يَلْلُئُهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: 14]، وقال: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: 54].

- لحم الطير: قال تعالى: ﴿وَفَكَهَمٌ مِّمَّا بَخَّرَوتَ ﴿٦١﴾ وَنَعْمَ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 20، 21] وعن أنس بن مالك قال: يا رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أحسن منها»<sup>(1)</sup>. وليس هذا فقط طعامهم بل لهم كل ما اشتهدت أنفسهم ولذته أعينهم ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْإِنْسَانُ لَلْآلِئِشِ وَتَكَذُّبُ الْأَعْيُنِ وَأَنْتَرَفَ فِيهَا خَلِيدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71].

## 2 - شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر، وبعضهم يشرب الدم المسفوح، وبعضهم يشرب العرق وغير من النجاسات والقاذورات، وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر، طهور طيب قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوتٌ أُسَاوِدٌ مِنْ فُضْفُوفٍ وَسَقَمُومٌ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٦١﴾﴾ [الإنسان: 21].

(1) جامع الأصول (10/ 467) حسنه الترمذي.

ومن هذه الأشربة:

\* العسل واللبن والماء:

قال تعالى: ﴿تَنَلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَغَدَّ ثَوْبَهُ إِذَا تَقَرَّىٰ وَآسَىٰ فِيهَا مَنْ أَسَىٰ وَالسُّكَّرُ فِيهَا زِينًا وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَّهٗ يَغَيَّرُ طَعْمَهُ وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرَابِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

\* الكافور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: 5، 6].

\* الزنجبيل:

قال تعالى: ﴿وَسُقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: 17، 18].

أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألفت موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان

لذيذان من الشراب أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل<sup>(1)</sup>.

\* التسنيم:

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٧٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهَا فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٧٦﴾ وَمِنْ أَلْفٍ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٧٧﴾ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمَعْرِوُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المطففين: 25 - 28]، قال ابن عباس: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين<sup>(2)</sup>.

\* الخمر:

تكلم الله تعالى عن خمر الجنة في غير ما آية ونفى عنه جميع آفات خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿يَا كُوفٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 18، 19] وقال: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: 22-23]، وقال: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: 15]، فخمر الدنيا<sup>(3)</sup>، طعامها غير لذيذ، وتحدث لمن شربها صداع، ويذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغو بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات فلا يمتنع عن شيء منها وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟ فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها، ولا ينزفون

(1) حادي الأرواح لابن القيم، ص: 224.

(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 603.

أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصفات: 45 - 47].

وهذه الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر وهي ذات ﴿لَذَّةٍ﴾، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿يُنْزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون منها<sup>(2)</sup>، فلا تذهب عقولهم وتبقى لذاتها والخمر هي المقصود بقوله تعالى: ﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٤٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ ﴿٤٦﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٤٧﴾ وَمِرَابِجُهُمْ مِنْ تَسْنِينٍ ﴿٤٨﴾﴾ [المطففين: 25-27]، والرحيق هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك<sup>(3)</sup>، ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، قال ﷺ: «من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة»، قال ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب»<sup>(4)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أيا مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيا مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيا مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.

(2) التسهيل، لابن جزي (2/ 235) المصدر نفسه، ص: 604.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.

(4) البخاري، ك الأشربة، رقم: 5253.

(5) سنن أبي داود، ك الزكاة، رقم: 1682 سنه حسن.

### 3 - آنية طعامهم وشرابهم:

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ<sup>(1)</sup> وَفِيهَا مَا شَتَّهِبِ الْآنَافُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

الصحاف جمع صحفة وهي القصعة وزناً ومعنى، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الراسي للذي لا عروة له ولا خرطوم<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كاشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة - يعني العود - ورشحهم المسك»<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 18 - 19]، أباريق جمع إبريق والأكواب الكبيرة ذات العري والخراطيم<sup>(4)</sup>، والكأس هو الكوب إذا كان فيه

(1) أكواب: أي من ذهب.

(2) لسان العرب (1 / 729) حادي الأرواح، ص: 233.

(3) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3073.

(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 113.

شراب<sup>(1)</sup>، وهذا الكأس مليء بالشراب كما قال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [التَّبَا: 34]، أي مليئة مترعة متتابعة، وهذا من كمال النعيم، فلا ينقصهم شيء حتى الكؤوس مليئة، وقال تعالى: ﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِمَّنْ قَبَضُوا وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿١٥﴾﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ قَبْرِهَا مَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: 15-16]، القوارير الزجاج، أي هي في صفاء الزجاج وهي من فضة وهذا ما لا نظير له في الدنيا<sup>(2)</sup>.

وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربة لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد فقد قدرها تقديراً، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاده، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامة من الباقي، وهذا يدل على الاعتناء والشرف<sup>(3)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»<sup>(4)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»<sup>(5)</sup>.

(1) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 729.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 609.

(3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 103 بتصرف.

(4) متفق عليه البخاري، رقم: 5110، مسلم رقم: 2067.

(5) البخاري، رقم: 4597، مسلم، رقم: 180.

4 - لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عري في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 118-119].

وقال ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»<sup>(1)</sup>، ولهم أفضل أنواع اللباس فمن ذلك:

\* الحرير: بأنواعه الرقيق منه والغليظ قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31].

وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الذخان: 53].

والسندس ما رق من الديباج والحرير، والإستبرق ما غلظ منه. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتلذذ به<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] تأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2836.

(2) حادي الارواح، ص: 237.

يحمل ظاهريهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال<sup>(1)</sup>.

وأما حليهم وأساورهم فهي كالتالي:

\* الذهب: قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: 33].

\* الفضة: ﴿عَلَيْهِنَّ يَأْتِ سُنْدِيحٌ حُمْرٌ وَإِسْتَرْقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِزْمٌ سَرَاكِبًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21].

\* اللؤلؤ: قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33] فأساور أهل الجنة بعضها من الفضة، وبعضها من ذهب، وبعضها من لؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33]<sup>(2)</sup>.

5 - فرش أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَى الْجَنَّةِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54].

فرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها فكيف هو ظاهرها؟ وهذه الفرش عالية لها سُمْكٌ وحشو بين البطانة والظهارة كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 34].

(1) حادي الارواح، ص: 238.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 611.

## 6 - بسط أهل الجنة :

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّٰٓةً مَبْثُوثَةً﴾ ﴿١٦﴾ [الغاشية: 16] ، والزرايبي جمع زورية وهي البسط<sup>(1)</sup> ، وهو مبثوثة على شكل متسق ومتكامل وقال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ رَقَبَتِي خُضِرَ وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ﴾ ﴿٧٦﴾ [الرَّحْمٰن: 76] .  
العبقري: البسط الجياد، والررفرف: رياض الجنة<sup>(2)</sup> .

## 7 - الوسائد :

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ [الغاشية: 15] .  
[16].

النمارق جمع نمرقة، وهي الوسادة، وهي التي توضع تحت الرأس . وقيل المساند . وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب . وقد يعمها اللفظ<sup>(3)</sup> .

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائماً وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر<sup>(4)</sup> .

## 8 - سرر وأرائك أهل الجنة :

قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: 20] .

(1) لسان العرب (1/ 447).

(2) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 183.

(3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 123.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 613.

السُرر: جمع سرير وهو الذي يجلس عليه<sup>(1)</sup>.

وذكر الله تعالى لهذه السُرر ثلاث صفات:

\* قال تعالى: ﴿سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾.

فالسُرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيد عن بعض.

\* قال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٦﴾ [الواقعة: 15 ، 16] موضونة: أي مرصعة ومتقاربة ومنسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد<sup>(2)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13].

- وقال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْفَعًا﴾ [الكهف: 31].

- ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: 51].

- ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13].

- ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 23-24].

(1) لسان العرب (4/361) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

- ﴿قَالِيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: 34 ، 35].

الأرائك جمع أريكة.

قال ابن عباس: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة<sup>(1)</sup>.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال<sup>(2)</sup>، الحجال: القبة من القماش تكون على السرير مثلما يضع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير<sup>(3)</sup>، فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو به المؤمن بجبهه<sup>(4)</sup>.

9 - خدم أهل الجنة :

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن تَمِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: 17 . 18].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: 19].

يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة مخلدون، أي على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا

(1) البعث والنشور للبيهقي، ص: 182.

(2) المصدر نفسه، ص: 182.

(3) لسان العرب (11 / 144).

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 615.

تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِئْتُمْ لَوْلَا مَثُورًا﴾ [الإنسان: 19]. أي إذا رأيتمهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن<sup>(1)</sup>.

### 10 - سوق أهل الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازدم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازدم بعدنا حسناً وجمالاً»<sup>(2)</sup>.

والمراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار<sup>(3)</sup>.

### 11 - سماع أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الزوم: 15].

(1) تفسير ابن كثير (4 / 456).

(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2833.

(3) النووي على مسلم (17 / 170).

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [الزَّخْرَف: 70].

قال يحيى بن أبي كثير: الحبرة: اللذة وسماع الغناء<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [يس: 55].

قال ابن عباس ؓ: شغلهم بسماع الأوتار<sup>(2)</sup>.

وقوله ﴿فَنَكِهُونُ﴾ الفكاهة المزاح والكلام الطيب والمتفكه المتنعم<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين يرفعن أصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال يقلن: نحن الخالدات فلا نبديد، ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا سخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»<sup>(4)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به:

(1) البعث والنشور لليهقي، ص: 211 حادي الأرواح، ص: 291.

(2) تفسير ابن كثير (3 / 575).

(3) تفسير القرطبي (15 / 31).

(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 137 سنده، صحيح بشواهد.

نحن الخالدات فلا يمتهن، نحن الأمانات فلا يخفهن، نحن المقيمات فلا يظعنهن»<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، جئنا لأزواج كرام»<sup>(2)</sup>.

12 - لهم ما اشتهدت نفوسهم:

قال تعالى: ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101 . 102].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَلَاحُهُمْ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: 57].  
- وقال جل ذكره: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَّا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَأَنَّ عَلَىٰ رَيْكٍ وَعَدَاً مَسْتَوْكَاً﴾ [الفرقان: 16].  
- وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 34].

- وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَّا سَنَتَهُ ابْنُ آدَمَ وَتَلْذُ الْأَعْيُنُ وَأَنْتَرُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: 71].

13 - الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدنيا تدم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة، فالأمر ليس كما يظن بعض الناس،

(1) صحيح الجامع الصغير للالباني (2 / 48)، رقم: 1557.

(2) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211.

وانظر إلى الصالحين من قوم قارون عندما أنسته أمواله الآخرة قالوا له: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصاص: 77] ، فلم يأمره بترك الدنيا كلها بل قالوا له: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ، وأقرهم رب العزة على هذه الكلمة وسطرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: 32] .

الحادي عشر: الحور العين:

### 1 - جمال وحسن حور العين:

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات:

\* قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 48 . 49].

قيل إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه<sup>(2)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْزِ الْمَكُونِ ﴿٧٨﴾﴾

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 626.

(2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 127.

[الواقعة: 22 - 23]: المكنون: أي المخبأ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي، ولم تؤثر على لونه، فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفة<sup>(1)</sup>، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال، فشبّه الله تعالى الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهم وبهائهن ونظافتهن وحسن منظرهن وملبسهن وبياض الحور العين غاية في البياض حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملاً نورها أرجاء المعمورة<sup>(2)</sup>، قال ﷺ: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها، على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>، والنصيف هو الخمار، فإذا كان الخمر خيراً من الدنيا وما فيها فما بالك بالتي تلبس الخمار<sup>(4)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَنُ: 58].

الياقوت والمرجان حجران كريمان جميلان، ولهما منظر حسن بديع، فشبههن في صفاء الياقوت وبياض المرجان<sup>(5)</sup>.

## 2 - صفاتهن الخُلُقِيَّة:

\* - قاصرات الطرف:

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْنُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُّهُنَّ

(1) التسهيل، لابن جزى (2/ 377).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 627.

(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2643.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 628.

(5) تفسير ابن كثير (4/278).

﴿٥٦﴾ [الرَّحْمَنُ: 56] .

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ

﴿٥٨﴾ [الصفات: 48 ، 49].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: 52] ،

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهن حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن<sup>(1)</sup>.

\* متحيات :

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنثَاءً ﴿٥٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ عُرًّا أَرْبَابًا

﴿٦٧﴾ [الواقعة: 35 - 37].

عرب: جمع عروبة<sup>(2)</sup> أو عربة أو عروب، وهي المرأة الحسنة المتوددة المتحبة لزوجها<sup>(3)</sup>، العاشقة له.

\* - جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: 25] .

(1) حادي الأرواح لا بن القيم، ص: 261.

(2) مفردات القرآن، للراغب، ص: 557.

(3) لسان العرب (1/591).

طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ<sup>(1)</sup>.

### 3 - صفاتهن الخلقية:

#### أ - مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25] ، أي من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط والنخامة والمني والمذي والحدث وكل قدر وأذى يكون في نساء الدنيا<sup>(2)</sup>، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، وعن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرأ»<sup>(3)</sup>.

#### ب - حور عين:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: 54] .

الحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة نقية اللون والجلد لبياضها<sup>(4)</sup>.

وهذا اللفظ مشتق من الحور، والحور أن يشتد بياض العين

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 258.

(2) البدر السافرة، ص: 554، حادي الأرواح، ص: 258.

(3) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، انظر تحقيق، صفة الجنة، ص: 143.

(4) حادي الأرواح، ص: 258.

ويشتد سواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء قال الأزهري: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد<sup>(1)</sup>، وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة، لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: الحور التي يحار الطرف فيها<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَكُمْ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ عَيْنٌ﴾ [الصّافات: 48]، وعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين<sup>(3)</sup>، وجمعت أعينهن . مع السعة . صفات الحسن والملاحة<sup>(4)</sup>.

### ج - أتراب في السن:

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ أَرَابٌ﴾ [ص: 52] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ [٢٥] ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [٣٦] ﴿عُرًّا أَرَابًا﴾ [٢٧] [الواقعة: 35 - 37]: أتراب، أي أقران أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطاء<sup>(5)</sup>.

### د - أبكار:

الحور العين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ [٢٥] ﴿جَعَلْنَهُنَّ

(1) لسان العرب (4/219).

(2) البعث والنشور، ص: 203.

(3) لسان العرب (13/302).

(4) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 259.

(5) المصدر نفسه، ص: 261.

أَبَكَرًا ﴿٣٦﴾ [الواقعة: 35 . 36].

والبكر أفضل من الثيب، فالأرض التي لم يُرْعَ فيها خير من أرض قد رُعي فيها، وهذه البكارة تعود كلما قام عنها زوجها، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم» والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة<sup>(1)</sup>.

هـ - كواعب:

قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾ [التَّبَاي: 33] كواعب جمع كاعب، الكاعب هي المرأة التي تكعب نديها، أي نهت واستدار<sup>(2)</sup>، والمراد أن نديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين: نواهد وكواعب<sup>(3)</sup>.

وحسبك شهادة لجمالهن الباهر وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحْمَن: 70]، وحسان جمع حسناء<sup>(4)</sup>.

4 - غيرة الحور العين:

قال ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذي قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك، يوشك أن يفارقك إلينا»<sup>(5)</sup>.

(1) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، تحقيق، صفة الجنة، لابن كثير، ص: 143.

(2) لسان العرب (1/719) المفردات للراغب، ص: 713.

(3) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 267.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 632.

(5) صحيح الجامع الصغير (6/125)، رقم: 7069.

## 5 - يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل :

عن زيد بن أرقم قال: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع»، وقال: فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «حاجة أحدهم عرق بغيض من جلودهم مثل ربيع المسك فإذا البطن قد ضمر»<sup>(1)</sup>.

والتمتع بالحوار العين يكون بالملامسة، والحديث معهن وسماع غنائهن، والتلذذ بجمالهن والتمتع بشم رائحتهن الزكية.

- فالملامسة:

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقبيل، وهذا لازم الملامسة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكِ مُتَكَبِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 55-56]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم. شغلهم افتضاض الأبقار<sup>(2)</sup>.

- الحديث معهن:

ومن معاني قوله تعالى: ﴿فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: 55] أي

(1) مسند أحمد، رقم: 19165 سنه صحيح.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15 / 30).

مشغول بمحادثتها وكلامها ومسامرتها وممازحتها ومذهول من طيب كلامها ومشغول بها عن الالتفات لغيرها<sup>(1)</sup>، قال القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله: ﴿فَيَكْفُؤُونَ﴾: الفاكهة المزاج والكلام الطيب، والمتفكه: المتنعم<sup>(2)</sup>.

\* سماع غنائهن:

قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٧) [الزَّخْرَفُ: 70].

الحبرة اللذة وسماع الغناء<sup>(3)</sup>.

\* التلذذ بجمالهن:

إن من صفات الحور العين أنهن ﴿قَلْبَرَتْ أَلْطَرَفَ﴾ ومن معانيه أنهن قصرت أعين أزواجهن عليهن من شدة جمالهن فلا يطمع لغيرها ولا يلتفت عنها ولا يبتغي سواها قد شغفته حباً، وامتلاً قلبه من حبها واكتنز وفاض حتى غمر جوارحه فلا ينظر لسواها وهذا من النعيم الكامل واللذة التامة، حتى العين لها نصيب وافر من النعيم واللذة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿مَا شَتَّهِبِ الْأَنْفُسَ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَشْرَتْ فِيهَا خَلِيدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

\* التمتع بشم رائحتهن الزكية:

لا شك أن الرائحة الطيبة في المرأة مما يزيدها حباً لزوجها

(1) اليوم الآخر المطيري، ص: 634.

(2) تفسير القرطبي (51/31).

(3) البعث والشور للبيهقي، ص: 211.

وهو من كمال اللذة<sup>(1)</sup> والاستمتاع بهن، والحوار العين لهن من ذلك أوفر نصيب، حيث إن عبق طيبها لو خرج إلى الأرض لملاها مسكاً<sup>(2)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد . يعني سوطه . خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>.

إذن يكون التمتع بهن بجميع الحواس الخمس، وهذا من أعظم النعيم، حيث يفيض التمتع على جميع أجزاء جسده ويغمر كل ذرة في جسمه<sup>(4)</sup>.

الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم:

إن مسألة رؤية المؤمنين لربهم ﷻ بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأجلها، إذ هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى، وأعلى الكرامات، وأفضل العطيات التي شمر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 636.

(2) المصدر نفسه، ص: 636.

(3) البخاري، رقم: 2643.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 637.

أن المؤمنين يرون الله ﷻ بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر<sup>(1)</sup>.

والآيات تدل على رؤية الله تعالى كثيرة وهي أنواع منها:

### 1 - آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُسْتَوًى زَبَدًا وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَدَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: 26].

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُسْتَوًى زَبَدًا﴾<sup>(2)</sup>. وقال ﷺ: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن»، وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَأْتُوا فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35] ، وعن علي وأنس رضي الله عنهما أن تفسير هذه الآية النظر إلى وجه الرحمن<sup>(4)</sup>.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُسْتَوًى زَبَدًا﴾<sup>(5)</sup>.

(1) أقوال التابعين، عبد العزيز عبد الله (3/1066).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 181.

(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 253.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (3/519).

(5) تفسير ابن كثير (4/228).

## 2 - الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى :

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة :

22 . 23].

الناضرة: الحسنة؛ حسنها الله بالنظر إلى ربها ﷻ، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله<sup>(1)</sup>.

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر إلى؛ أي إلى خالقها ومالك أمرها. ناظرة، أي تنظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر<sup>(2)</sup>.

## 3 - آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه :

بين سبحانه . في بعض الآيات . أنه يحرم الكفار من النظر إليه عقوبة لهم على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي ينزه عنه الشارع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: 15].

(1) أقول التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/1074).

(2) فتح القدير للشوكاني (5/336).

في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط، دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا<sup>(1)</sup>.

وعن أشهب قال: سأل رجل مالكا: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيام لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فقيل له: يا أبا عبد الله فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى فقال مالك: السيف السيف<sup>(2)</sup>.

#### 4 - آيات العنودية:

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، قال: أما أنا قد سألتنا عن ذلك - يعني رسول الله ﷺ - فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسر من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا

(1) تفسير القرطبي (19/171) بتصرف.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/518) للالكاني.

أنهم لن يتركوا من أن يسألوا فقالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا<sup>(1)</sup>.

### 5 - آيات الملائكة:

- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223].

- وقال تعالى: ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44].

- وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبِّهِمْ وَلَكِن كَرِهْتَ قَوْلًا يَجْمَلُونَ﴾ [هود: 29].

- وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

قال ابن مسعود: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر أحداً<sup>(2)</sup>.

(1) مسلم، ك الإمامة، رقم: 1887، اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 644.

(2) حادي الأرواح، ص: 372.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطْمَئِنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[البقرة: 46].

قال ابن القيم: وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية<sup>(1)</sup>.

## 6 - الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها<sup>(2)</sup>.

وفي نظم المتناثرة من الحديث المتواتر ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ثم سرد أسماءهم<sup>(3)</sup>.

وقال ابن أبي العز الحنفي: وقد روي أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها<sup>(4)</sup>، ومن هذه الأحاديث:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟» قالوا:

(1) حادي الأرواح، ص: 328.

(2) تفسير ابن كثير (4/450).

(3) نظم المتناثر للكتاني، ص: 250 حادي الأرواح، ص: 337.

(4) شرح الطحاوية (1/217).

لا، قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارون من رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»<sup>(1)</sup>.

- وعن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»<sup>(2)</sup>.

- عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً»<sup>(3)</sup>.

## 7 - رضوان الله أكبر:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: 72] ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، عن أبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا

(1) البخاري، رقم: 7002.

(2) البخاري، رقم: 7000، مسلم، رقم: 182.

(3) البخاري، رقم: 6998.

نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أجل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً<sup>(1)</sup>.

الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين:

بعد انقضاء الحساب تحمد الملائكة ربها:

- قال تعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: 75].

- وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٧٤﴾﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [فاطر: 34 . 35].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزمر: 74].

- وآخر دعواهم في جنات النعيم: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: 10].

## الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من حديث عن اليوم الآخر ضمّهما هذا الكتاب وقد سمّيته «الإيمان باليوم الآخر».

فما كان فيه من صواب، فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد والمئة، وما كان فيه من خطأ، فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] ويقول الشاعر:

يامنزل الآيات والفرقان	بينني وبينك حرمة القرآن
اشرح به صدر لمعرفة الهدى	واعصم به قلبي من الشيطان
يسر به أمري وأقض مآربي	وأجر به جسدي من الشيران
واحطط به وزري وأخلص نيتي	واشدد به أزري وأصلح شاني
واكشف به ضربي وحقق توبتي	واربح به بيعي بلا خسراني

أجمل به ذكري واعلٍ مكاني  
 كثر به ورعي واحي جناني  
 أسبل بفيض دموعها أجفاني  
 واغسل به قلبي من الأضغاني  
 وهديتني لشرائع الإيمان  
 وجعلت صدري واعي القرآن  
 من غير كسب يدٍ ولا دكان  
 وغمرتني بالفضل والإحسان  
 وهديتني من حيرة الخذلان  
 والعطف منك برحمة وحنان  
 وسترت عن أبصارهم عصياني  
 حتى جعلت جميعهم إخواني  
 لأبى السلام عليّ من يلقاني  
 ولبؤثُ بعد كرامة بهوان  
 وحلمت عن سقطي وعن طغياني  
 بخواطري وجوارحي ولساني  
 مالي بشكر أقلهنَّ يدان  
 حتى شددت بنورها بُرهاني  
 حتى تقوي أيدها إيماني  
 ولتخدمك في الدجى أركانِي  
 ولا شكرنك سائر الأحيان  
 ولا شكونٌ إليك جهد زماني  
 من دون قصد فلانة وفلان

طهر به قلبي وصف سريرتي  
 واقطع به طمعي وشرف همتي  
 أسهر به ليلى وأظم جوارحي  
 أمزجه يا رب بلحمي مع دمي  
 أنت الذي صورتنى وخلقتنى  
 أنت الذي علمتنى ورحمتني  
 أنت الذي أطعمتنى وسقيتنى  
 وجبرتني وسترتني ونصرتني  
 أنت الذي أويتني وحبوتني  
 وزرعت لي بين القلوب مودةً  
 ونشرت لي في العالمين محاسناً  
 وجعلت ذكري في البرية شائعاً  
 والله لو علموا قبيح سريرتي  
 ولأعرضوا عني وملأوا صحبتي  
 لكن سترت معايبي ومثالي  
 فلك المحامد والمدائح كلها  
 ولقد مننت عليّ رب بأنعم  
 فوحدك حكمتك التي آتيتني  
 لئن اجتبتني من رضاك معونة  
 لأسبحنك بكرة وعشية  
 ولا ذكرنك قائماً أو قاعداً  
 ولا أكتمن عن البرية خلتي  
 ولأقصدنك في جميع حوائجي

ولأحسمن عن الأنام مطامعي  
ولا جعلن رضاك أكبر همتي  
ولا كسون عيوب نفسي بالتقى  
ولأمنعن النفس عن شهواتها  
ولا تلون حروف وحيك في الدجى  
ولأحرقن بنوره شيطاني<sup>(1)</sup>  
ولا ضربن من الهوى شيطاني  
ولأقبضن عن الفجور عناني  
ولأجعلن الزهد من أعواني

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك  
وأتوب إليك .

(1) نونية القحطاني، ص: 9، 10.